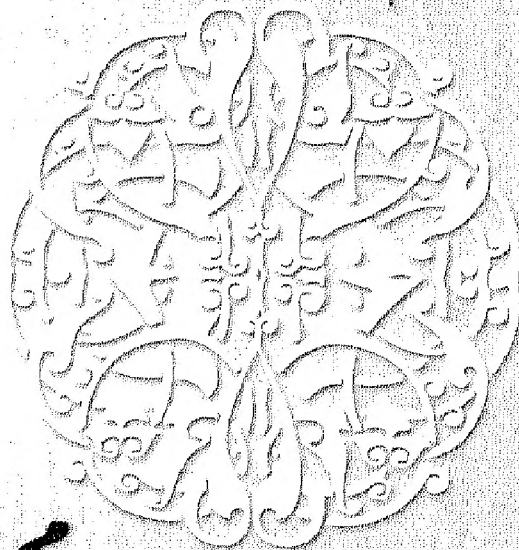


زَوْجَاتُ الْأَنْبِيَاءِ

وَأُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ



محمد علي قطب

الدار الثقافية للنشر

زوجات الأنبياء عليهم السلام وأمهات المؤمنين رضى الله عنهن

تأليف

محمد على قطب

الدار الثقافية للنشر

Zogat Al Anbia'i

عنوان الكتاب: زوجات الأنبياء عليهم السلام
وأمهات المؤمنين رضى الله عنهن

Mohammad Ali Qutb

تأليف: محمد على قطب

14 x 21 cm. 192 p.

21 x 14 سم . 192 ص .

ISBN: 977 - 339 -120 - 5

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2003/9337

اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

الطبعة الأولى

1425 هـ / 2004 م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر

الدار الثقافية للنشر - القاهرة

ص.ب 134 بانوراما اكتوبر 11811 - تليفاكس 4035694 - 4172769

Email: nassar@hotmail.com

الفهرست

الصفحة	الصفحة
٥	المقدمة
٩	حواء
٩	خلق حواء
١٠	إسمها
١١	آدم وحواء والخطيئة.
١٣	"آدم" - عليه السلام - بين النبوة والجهود
١٣	أين كان الهبوط؟
١٤	حواء الزوجة والأم
١٤	بين قابيل وهابيل ؛
١٥	الراعى والزارع
٢١	والغة امرأة "نوح"
٢٨	سارة زوجة "إبراهيم"
٣٦	والهة زوجة "لوط"
٤٢	هاجر -
٤٨	"قنطورا" و "حبون" زوجتا "إبراهيم"
٥١	"عمارة" و "السيدة" زوجتا إسماعيل
٥٥	"رفقا" زوجة إسحاق
٦٠	(ليا) و (راحيل) و "زلفى" و "بلهى" . زوجات يعقوب وسرياته
٦٥	زوجة "يوسف"

٦٧	(ليا) زوجة "أيوب"
٧٣	صفورا زوجة "موسى"
٩١	زوجات ، "داود"
٩٩	بلقيس (زوجة سليمان)
١٠٥	(الياصابات) زوجة زكريا
١٠٩	نساء النبي ﷺ
١١٠	كلمة لا بد منها
١١٢	خديجة بنت خويلد
١٢١	سودة بنت زمعة
١٢٨	عائشة بنت أبى بكر الصديق
١٣٩	صفية بنت عمر
١٤٥	زينب بنت خزيمة
١٤٨	أم سلمة
١٥٤	زينب بنت جحش
١٦٠	جويرية بنت الحارث (رضى الله عنها)
١٦٥	صفية بنت حيي (رضى الله عنها)
١٧١	أم حبيبة
١٧٧	ميمونة بنت الحارث
١٨١	مارية القبطية
١٨٨	ريحانة بنت شمعون
١٩١	الخاتمة
١٩٢	المراجع

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت
وهو على كل شيء قدير ، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا "محمدًا" عبد الله
ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيه ، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وكشف
الله به الغمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يضل عنها
إلا زائع هالك ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وصحبه أجمعين ،
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد . . .

فما أكثر ما كتب في قصص الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- بدءاً من " آدم " عليه السلام - إلى " محمد " ^(١)

وتنوعت تلك الكتابات بين التفصيل والإسهاب وبين الاختصار
والإيجاز ، وكان للقرآن الكريم فضل كبير في الحديث عنهم وعن الأمم
والشعوب التي أرسلوا إليها وعن دعواتهم ، وعماعانوه في ضبط مسيرة
تلك الأمم وفق المنهج الرباني الذي أرسلوا به ،

(١) تميزت الكتابات عن حياة / سيدنا رسول الله ﷺ باسم " السيرة " ، فأصبحت علماً ؛ يعرفه حتى غير

المسلمين .

كما أن القرآن الكريم سمي بعض سورته الشريفة باسم الأنبياء
"يونس" و "هود" و "يوسف" و "إبراهيم" و "محمد" و "نوح" . . . !
أضف إلى ذلك إجمالهم - صلوات الله وسلامه عليهم - في سورة
"الأنبياء" . . . !

وفي غضون الحديث عنهم وتناولهم جاء ذكر زوجاتهم بين مدح وذم ،
حسب ما كانت عليه الزوجة من سلوك يتوافق أو يتعارض مع مضمون
وحقية ما كلف به الزوج النبي في الرسالة ، وأمانة تبليغها .
ولقد عكف مؤرخونا وعلمائنا منذ أمد بعيد وفي العصور المتأخرة
على الحديث عن زوجات الأنبياء ضمن السرد التاريخي لحياة النبي المرسل
واختلط ذلك بعضه ببعض ، وكان أكثر أولئك يميل إلى ما ورد من
الإسرائيليات في المأثور ، فأصبحت الصورة مشوشة غير واضحة المعالم ،
لا يعرف فيها الغث من السمين .

أضف إلى ذلك التزييدات التي شذت عن الحق والمنطق السليم بالتعويل
على ما جاء في "توراة" أهل الكتاب
من هذا المنطلق وددت أن أفرد - قدر الإمكان والمستطاع - حياة
(زوجات) الأنبياء - عليهم السلام - في كتاب . . . !

ولكنني اضطررت إلى الالمام بحياة النبي ، فإن ذلك من مقتضيات
البحث ، فعياة زوجة النبي - أي نبي - لا تنفصل عن حياة زوجها ؛ فهي
جزء من كيانه وشريكته في رحلة الحياة . . . !

استعنت بما أورده المؤرخون لبعض الأسماء والتفاصيل - نقلا عن أهل
الكتاب - فإني أشرت إلى ذلك واضحا حتى لا يلتبس على القارئ ولأكون
ملتزما بالأصول القرآنية والسنة الشريفة .

وأيضاً...!

فإنى لا حظت فى الآونة الأخيرة^(١) ، وأطلعت على كتابات منتشرة مختصرة ، فيها قليل من الجهد وبعض المغالطات لحياة (زوجات) الأنبياء - عليهم السلام- ، فأردت من خلال كتابى هذا أن أفصل وأبين وأطول . . . وأصحح الخط البيانى ! .

ولا يسعنى فى هذا السياق إلا أن أشكر صاحب ومدير الدار الثقافية للنشر الأخ العزيز الحاج فتحى نصار إذ كان له فضل كبير فى لفت نظرى إلى موضوع هذا الكتاب - والحمد لله .

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يجعل عملى هذا مقبولاً عنده ، وفى ميزان حسناتى يوم القيامة ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة فى غرة رجب الحرام ١٤٢٤ هـ

الموافق ٢٩ أغسطس ٢٠٠٣ م

محمد على قطب

(١) فى شهر "رمضان المبارك" لعام (١٤٢٣ هـ) . جزى الله تعالى كاتبها خير الجزاء

”حواء” - عليها السلام -

- ❖ أمنا ” حواء ” . . . أم البشر جميعا ”
- ❖ أول أنثى خلقت . . . ، وأول امرأة حملت وولدت .
- ❖ وأول زوجة نبي

خلق حواء

يقول الله تعالى في سورة الإنسان ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء : ١)
وقال تعالى في سورة ”الأعراف” ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف : ١٨٩)

والمقصود بالنفس الواحدة ” آدم - عليه السلام - ؛ إذ سبق خلق ” حواء ؛

ويروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن ابن مسعود - رضى الله عنه - عن جماعة من الصحابة ، قالوا : (أخرج إبليس من الجنة ، وأسكن

"آدم" الجنة فكان يمشى فيها وحشياً ليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومه فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها له الله من ضلعه ، فسألها : من أنت ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم خلقت ؟ . قالت : لتسكن إلى . فقالت له الملائكة - ينظرون ما بلغ من علمه - : ما اسمها يا "آدم" ؟ قال "حواء" قالوا : ولم كانت "حواء" ؟ قال : لأنها خلقت من شيء (١) حتى

وفى الصحيحين عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ ، أنه قال : (استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً) (١)

وروى "محمد بن إسحاق" عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن "حواء" خلقت من من ضلع "آدم" الأيسر ، وهو نائم ، ولأم مكانه لحماً .

إسمها :

كذا ورد اسمها فى "التوارة" عند أهل الكتاب ، ولكن دون تعليل أو بيان ، على عكس ما ورد فى الأثر الشريف الذى رواه "ابن عباس" و"ابن مسعود" عن جماعة من الصحابة - رضوان الله عليهم - . ولقد عرف الإسم عند العرب ، فسَمُّوا به وتعرف عليه ، ووجدت فى الصحابييات - رضى الله عنهن - أربعة غرفن به (١)

(١) رواه "السدى"

(١) هذا لفظ "البخارى"

(٢) الاصابة - ابن حجر

”آدم” و”حواء” والخطيئة !!

يقول الله تعالى ﴿وَقُلْنَا يٰٓآدَمُ اَسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة : ٣٥).

فكانا يتنقلان فى ألحاء الجنة ورياضها ويتمتعان بظلالها وثمارها وعذوبة مياهها ، ولا ينكد عليهما صفو عيشهما أى نكد ، فالرضوان يغمرهما ، وعين الله ترعاهما .

وفى ذات يوم - بينما كانا فى تطوافهما - وصلا إلى تلك الشجرة التى نهيا عنها ، وهى لا تختلف فى أغصانها وثمارها عن غيرها ، فقط كان النهى عنها اختباراً من الله تعالى لهما على الطاعة ، وامتحاناً على الالتزام بالأوامر واجتناب النواهى .

عندها وسوس لهما الشيطان أن هذه الشجرة هى شجرة الخلد ، فإذا أكلا منها صارا ملكين خالدين ، لا يجرى عليهما الموت وأحكام الفناء ، ولكنهما امتنعا عن موافقة "إبليس" وحاولا الارتداد والهروب ، فأعاد الكرة وراح يزين لهما أمر المخالفة ويهون عليهما النتائج ، ويغريهما بطيب ثمر تلك الجنة ، حتى وقعا فى الفتنة وأكلا من الشجرة!

عندئذ انكشفوا ، وبدت لهما سوأتهما^(١) ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ليواريا السوءة ويسترا العورة ؛ كما شعرا بفداحة الخطأ وعظم الذنب .

يقول الله تعالى على لسان "إبليس" ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ

(١) سوأتهما : عوارتهما ، كل ما يسيئ الإنسان ظهوره للناس .

الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَتْ لَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَأَنصَحِينِ
﴿٢١﴾ فَذَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ ﴿٢٢﴾ (الأعراف: ٢٠-٢٢)

هنا نذهب "التوراة" إلى أن "إبليس" تمثل في حية، وأن الشجرة هي شجرة التفاح . . ، وأن "حواء" هي التي أغرت "آدم" وأغوته فوقها في الخطيئة، ومن ثم تحمل "التوراة" "حواء" إثم الخطيئة الأولى، وذلك في صلب العقيدة عندهم .

كما ذهب بعض المفسرين عندنا إلى تجشم بيان ماهية تلك الشجرة ، وقالوا فيها أقوالاً شتى متأثرين بالإسرائيليات .

والحق الذي لا مرية فيه ولا جدال هو ما جاء في القرآن الكريم ؛ يقول الله تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١)
فالعصيان كان من "آدم" - عليه السلام - ؛ والوسوسة كانت من الشيطان .

والوسوسة - كما يقول "الجوهري" في "الصحاح" : (حديث النفس، يقال : وسوست إليه نفسه وسوسةً وسواساً (بكر الواو) والوسواس (بالفتح) : الإسم ، كالزَّلْزَالِ والزَّلْزَالِ . وقوله تعالى : ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف: ٢٠) يريد : إليهما ولكن العرب توصلُ بهذه الحروف كلها الفعل ويقال لصوتِ الحُلِيِّ وسواس .
والواسوس أيضاً : إسم الشيطان)إ.هـ .

ومرجع ذلك كله النفس الإنسانية التي ركبت فيها نزعة الخير ونزعة الشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ (الشمس: ٨) .

ولا تعيننا شجرة التفاح ولا الحية بقدر ما تعيننا المخالفة والعصيان ، وذلك هو المقصود ! .

كل ذلك قبل نبوة "آدم" - عليه السلام - ، فقد استتبع المعصية التوبة والإنباسة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ، وكذلك الهبوط من الجنة إلى الأرض ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٣٦﴾ فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَكُمْ مِنْهُ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿(البقرة: ٣٦ ج ٣٩)﴾

"آدم" - عليه السلام - بين النبوة والجحود؟

ومن عجب أن يذهب بعض العلماء إلى جحود نبوة "آدم" - عليه السلام - مع ضعف الدليل عندهم ، وجادلوا في ذلك جدالاً كثيراً ، وشاحنوا مشاحنة واسعة ، ولكن أين يذهبون !! والله تعالى يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣) ويقول : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ﴿١٢١﴾ ثم أجتباه ربه فتاب عليه وهدي ﴿(طه: ١٢١-١٢٢)﴾ .

أين يذهبون بالاصطفاء والاجتباء؟؟

أين كان الهبوط؟

أكثر الأقوال في ذلك إسرائيليّات ، أو منسوب إلى التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب وأشهرها أن مكان الهبوط كان في الهند!؟ وبعضهم

مال إلى أنه كان فى جزيرة العرب ، كما قال آخرون أنه كان فى "دمشق" . وكلها أقوال لا ترقى إلى مرتبة اليقين .

"حواء" الزوجة والأم؛

يقول الله تعالى فى سورة (الأعراف) : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَّعَاكَ اللَّهُ رَبَّهُمَا لَنْ ءَاتِيَنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف : ١٨٩)

وبدأت عملية الإنجاب ، والتكاثر بتقدير وتدبير من الله تعالى ، والإجماع بين العلماء والدارسين والمؤرخين على أن حواء - عليها السلام - كانت تحمل كل مرة بتوأم ذكر وأنثى ؛ فكان آدم - عليه السلام - يزوج ذكر الحمل الأول لأنثى الحمل الثانى ، ثم العكس . . ! ، بقصد التنويع ، وما من شك فى أن ذلك التدبير كان من وحى الله تعالى له . وكانت حواء - عليها السلام - نعم الزوجة سكنا ومودة ورحمة لزوجها "آدم" - عليه السلام - ، كما كانت نعم الأم لأولادها رعاية وعناية وتربية .

بين "قابيل" و"هابيل"

أما "قابيل" فقد كان ذكر التوأم الأول ، وأما "هابيل" فقد كان ذكر التوأم الثانى ، والإسمان من مدرجات "التوراة" و"مأثور الإسرائيليات" ،

مع اجتماع مؤرخينا على ذكرهما بالنص ، مع اختلاف بسيط فى إسم " قابيل " ، إذ تذكره التوراة باسم " قايين " .^(١) .

ومع مرور السنين والأعوام ، وتعاقب الليالى والأيام ، كان الأطفال يكبرون ، ويدرجون ثم يمشون ، ويشتد عودهم ، وتلتف سواعدهم ، ويبدو " قابيل " و " هابيل " قادرين على ممارسة أنواع من النشاطات والرياضات ، والتصدى لقساوة الطبيعة وتقلباتها ، وكذلك لرد عدوان السباع والضواري من الحيوانات ، ولقد كانا خير عون لـ " آدم " أبيهما فى تأمين معاش الأسرة وعيشها .

كان يلف الأسرة الصغيرة ، والخلية البشرية الأولى جوًّا من التعاطف والود والتعاون ، وترفرف عليهما المحبة والألفة .

وكانت الفتاتان تكبران أيضا ، وتتخلقان . . وتضفى عليهما الأنوثة ملامح الضعف من ناحية والجاذبية من ناحية أخرى ، فكان " قابيل " و " هابيل " يتنافسان على إرضائهما وتلبية حاجتهما ويبدلان قصارى جهدهما فى حمايتهما ، وتوفير الهناء لهما ولا يقصر " قابيل " و " هابيل " مع أبويهما " آدم " و " حواء " ، ويعملان ولا يملان ويكدحان ولا يتعبان .

الراعى والزارع .

ولقد كان لاختلاف حاجات الأسرة من موارد المعيشة وأسباب الحياة أثره فى تنوع النشاطات ، وحيث أن الأرض بما استودع الله فيها من سر العطاء ، كانت مع تقلبات الفصول وتبدلها تنضُرُ أحيانا وتزهر وتثمر . . أو تستريح وتتهيا حيناً آخر .

(١) وجاء فى التوراة أيضا أن أسم اخت " قابيل " التوأم : " قليما " والله أعلم .

لذا فإن "قابيل" قد استهوته وألفها ، وأقبل على التعامل معها ، يشقها ويستنبتها ، ومن ثم يجنى خيراتها وثمارها ، ويكفى نفسه وأهله المؤونة ، من فصل إلى فصل ومن موسم إلى موسم . وهكذا تعلم الفلاحة والزراعة .

أما "هابيل" فقد اتخذ سبيلاً آخر . . ؛ إذ وجد فى ألبان الماشية وأصوافها وجلودها ولحومها أكثر من مصدر خير وعطاء ، وهى تلبي أشتاتاً من ضرورات الحياة وحاجات العيش . فعول عليها يرعاها ويسمنها ، وقد يبيت إلى جانبها فى حظائرها حماية لها ، ومحافظة عليها . . ، وهى تتكاثر ، وتحمل وتضع ؛ فإذا أعددناها تزيد ، وإذا بالخير يتدفق - والنعيم يعم الأسرة .

وكانت الفتاة البكر التى ولدت توأم لـ "قابيل" أجمل من أختها توأم "هابيل" وقد بلغت مرحلة الشباب والفتوة والنضوج ، فكانت تميل بقلبها وعواطفها إلى "هابيل" ، وهو يبادلها نفس الشعور ، وكان ذلك إلهاما من الله تعالى ، وحكمة منه سبحانه .

وكم حاول "قابيل" أن يشدها إليه ، أو يمتلك زمام عواطفها ، أو يستأثر بقلبها ، لكنها لم تتأثر ولم تنفعل ، وظل حبل الود موصولاً بين القلبين النابضين بالحب قلبها وقلب "هابيل" .

وراح الشيطان (إبليس) يبذر بذور الحقد والحسد فى نفس "قابيل" . . فكما أنعم "آدم" و"حواء" وأشقاها بالخرج من الجنة ، وأغواهما بالمعصية ، كذلك يفعل اليوم ، لأنه لا يريد لـ "آدم" و"حواء" وذريتهما أن ينعموا بالرضا والرضوان .

وهل ينسى "إبليس" عداوته الأزلية لـ "آدم" يوم أمره الله تعالى بالسجود ، فأبى واستكبر ، وتوعد وأنذر ، فلما سنحت له الفرصة

بالانتقام لم يتأخر . . ووسوس لـ "آدم" فأغواه وأوقعه فى جب
العصيان ، وكان الطرد من جنة الرحمن .

وأعاد "إبليس" الكرة . . ! ، إذ عشش فى نفس "قابيل" واستحكم
منها ، وقعد مقعده . . ! فأصم أذنيه عن السمع ، وغشى عينيه عن
الرؤية . . ! ، ثم حركه فى جوارحه وأطرافه ، فهجم على
أخيه "هابيل" فى ساعة خلوة ، وأطبق عليه غدرًا ولم يفلته من بين يديه
إلا جثة هامدة . . قد غاصت فى دمائها !!

ووقف غير بعيد ينظر إلى ما قدّمت يده وفعلت . . فاضطربت نفسه
وهاج فؤاده ، وأحس بوطأة الجناية على ذاته ووجدانه وشعر بفقدان الأخ
والعضد ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة : ٣٠)
وبدأت نفسه اللوامة تعمل عملها ، ووقع فى وهده الأسى والحزن ،
والحيرة والتردد وفقد كل ذرة من اتزان التفكير . . !

ماذا فعل ؟ ولماذا ؟ وكيف يتصرف ؟

ثم قعد على صخرة ملوما محسورًا ، وقد أثقلته الهموم ، ولم تقدر
قدماه على حمله .

وعلى قيد خطوات منه حط غراب فراح ينكش الأرض بمنقاره
ومخالبه ، حتى حفر حفرة أودعها بعض ما كان يحمل ، ثم أهال التراب
ثانية فى الحفرة ، وطار فى الجو محلقًا .

وكان هذا الغراب بعثًا من الله تعالى ، أرسله ليعلم "قابيل" . كيف
يوارى جثة أخيه القتيل "هابيل" ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي
الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيَّلَتْنِي
أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي
فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة : ٣١)

طير يعلم الإنسان؟؟؟

تلك ولا شك حكمة بالغة ، لها أكثر من مدلول ومفهوم ، ويكفى فيها أن الله تعالى بيده وحده أمور الخلق ، بشراً كانوا أم حيواناً . . أم طيراً أم جماداً أم نباتاً . . !

وشدت عيون "قابيل" إلى الغراب وعمله ، وكذلك شد تفكيره واهتمامه ، فلما رأى ما رأى قال متحسراً متندماً: ﴿يَلْوِيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ﴾ . ثم قام إلى عمله . . إلى الجثة الممددة . . يَجُرُّ ساقيه . . وتأكل قلبه الحسرة . ويذرف دموع الندم .

ولكن أنى له أن يتطهر أو يستغفر وقد نهر الدم الإنسانى الأول على مذبح الشهوة والهوى ، وعصى ربه وأطاع الشيطان فغوى !!

وصدق سيدنا رسول الله ﷺ إذ يقول : (لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها ، لأنه كان أول من سن القتل) ^(١) وفجع "آدم" و"حواء" بولديهما البكرين . . !

وقيل بأن "قابيل" قد عجلت له عقوبته فى الدنيا ، إذ علقت ساقه إلى فخذه ، وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت ، تنكيلاً به لذنبه وبغيه وحسده لأخيه .

وصح عن رسول الله ﷺ قوله : (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا - مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة - من البغى وقطيعة الرحم) ^(٢) .

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه .

وقيل فى " التوراة " المنسوبة إلى أهل الكتاب بأن " قابيل " قد هجر أهله وابتعد عنهم ، وسكن فى أرض " نودن " شرقى " عدن " وهناك تكاثر نسله . -والله أعلم -

وسرعان ما عوض الله تعالى " آدم " و " حواء " فولد لهما " شيث " ، ومعنى كلمة " شيث " كما أوردها المفسرون المؤرخون : (هبة الله) أى أنهما سمياه بذلك لأنهما رزقاؤه بعد مقتل " هابيل " وعاش " آدم " و " حواء " عمراً طويلاً ، يزداد فيه نسلهما و يتكاثر ، وقد بالغ الرواة فى ذلك مبالغة كثيرة وكبيرة ، والله أعلم بذلك ، فلا نجزم بواحدة منها .

ولما حان أجل " آدم " - عليه السلام - كما يروى الإمام " أحمد " بسند صحيح عن " أبي بن كعب " (قال لبيه : أى بنى إبنى أشتهى من ثمار الجنة ؟! فذهبوا يطلبون له ، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفؤوس والمساحى والمكاتل ، فقالوا لهم : يا بنى آدم ما تريدون وما تطلبون ؟ قالوا : أبونا مريض واشتهى ثمار الجنة ، فقالوا لهم : ارجعوا فقد قضى أبوكم فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم ، فلاذت بـ " آدم " ، فقال : إليك عنى ، فإنما أتيت من قبلك . . ، فخلى بينى وبين وملائكة ربى عز وجل ، فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ، وحفروا له ولحدوه ، وصلوا عليه ، ثم دخلوا قبره فوضعوه فى قبره ، ثم حثوا عليه ، ثم قالوا : يا بنى " آدم " هذه سنتكم) .

وأيضاً تكثر الروايات - وتختلف - فى موضع دفنه ، والمشهور - كما يقول " ابن كثير " - رحمه الله - أنه دفن عند الجبل الذى أهبط فيه فى الهند . وقيل بجبل " أبى قُبَيْس " بـ " مكة " ويُقال " إن نوحاً - عليه السلام - لما كان زمن الطوفان حمّله هو و " حواء " فى تابوت فدفنهما فى " بيت

المقدس " . رأسه عند مسجد "إبراهيم" ورجلاه عند صخرة "بيت المقدس" .

ولم تطل الحياة "بحواء" بعد وفاة "آدم" - عليه السلام - إذ ماتت بعده بعام واحد ، على أشهر الروايات .

وَوَرَّثَ النبوة بعد "آدم" ولده "شيث" - عليه السلام - بنص الحديث عن رسول الله ﷺ ، كما روى ذلك ابن "حبان" في صحيحه ، وقد تلقى خمسين صحيفة فيها الآيات والأحكام .

”والفة“ (١)

- ❖ زوجة "نوح" - عليه السلام -
- ❖ ولغت عن الإيمان في الكفر واستغرقت . . !
- ❖ وخانت دعوة زوجها ؛ وخالفت !
- ❖ فكانت مثلاً للكافرين . . ،
- ❖ فأغرقت في الطوفان اثم أدخلت نار الجحيم ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ (نوح : ٢٥).
- يقول الله تعالى في سورة التحريم ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحَ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم : ١٠).
- مرت عقود وقرون بين "آدم" و "نوح" -عليهما السلام- كانت البشرية فيها على منهج الله تعالى في التوحيد وعمارة الأرض والقيام بحق الطاعة والعبادة .

(١) هكذا جاء إسمها في بعض الروايات الإسرائيلية ، ونحن لا نثبت ذلك ولا ننفيه ،
فالله تعالى أعلم وأحكم .

ثم ظهر فى قوم "نوح" - عليه السلام - (بنى راسب) ^(١) . أشخاص كانوا نماذج عليا وأمثلة يحتذى بها فى التدين والتواصل مع الله تعالى ، فأحبوهم واقتدوا بهم وسلكوا مسلكهم واتخذوهم قدوة فلما حان حينهم وأزف موعد رحيلهم عن الدنيا ، واختارهم الله تعالى إلى جواره ، حزن القوم عليهم غاية الحزن وأسفوا لفراقهم ، وحرصوا على بقاء ذكرهم فيهم .

وهنا . . بين الحب والحزن كان مدخل "إبليس" إلى نفوسهم ، فوسوس لهم أن يتخذوا لهؤلاء الأحبة نصبا وتمائيل كى لا يغيبوا عن أعينهم وأنظارهم ، ويظلوا فى وجداناتهم أحياء غير أموات !! ففعلوا ونحتوا . . ، وظهرت لأول مرة فى تاريخ البشرية والإنسانية التمائيل . . !

تمائيل "ود" و"سواع" و"يغوث" و"يعوق" و"نسر" ، على أسماء أولئك الصالحين ! وأقاموها فى الأماكن التى كان يجلس فيها أولئك الصالحون .

وظلوا على ذلك ردحاً من الزمن !! فى تقديس وتعظيم لم يبلغوا إلى حد العبادة . . ثم إن "إبليس" اتخذ من هوس هذا الحب مدخلاً إلى النفوس فوسوس لهم أن يجعلوا نماذج لهذه التمائيل فى بيوتهم ، فأطاعوه . . ، فكانوا أول من كفر وأشرك وعبد الطاغوت ، وتمادوا فى ذلك وأمعنوا .

فلما انتشر الفساد وعم البلاء بعبادة الأصنام ، بعث الله عبده ورسوله "نوحاً" - عليه السلام - يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ،

(١) هكذا سماهم المؤرخون

وينهى عن عبادة الأصنام والتماثيل والطواغيت . . ! وينذرهم بعذاب الله فى الدنيا والآخرة إن هم أصروا واستكبروا .

قال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَتَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ (نوح ١-٤) .

لبث "نوح" - عليه السلام - فى قومه يدعوهم إلى الهدى ألف سنة إلا خمسين عاماً . . !

ما أطولها مدة . . ! ! وما أقساها قلوب ! ! ؟ وما أصبره عليهم ! ! ؟
ما ترك - عليه السلام - من حجة إلا قالها ، وما ترك من وسيلة إلا اتبعها ، سرّاً وعلانية ليلاً ونهاراً ولكنهم كانوا فى نجوة عن الإيمان وفرار من الحق ، وبعد عن الهدى . . !

إتبعه نفر قليل من المستضعفين الفقراء ، وخاصمه الكبراء والأغنياء وذوى السلطان . . ؛ وكان هؤلاء يزدادون ويكثرون ويزدادون طغياناً وإثماً ونفوراً !

يقول "نوح" - عليه السلام - : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝١ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۝٢ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيْءَ إِذِ انْتِهَمٍ ۝٣ وَأَسْتَغْشِوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٤ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٥ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٦ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝٧﴾

يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ (نوح : ٥-٢٠)

هزأوا به وبدعوته ، وسخروا منه ومن اتبعه . . . واتهموه بالكذب
والافتراء وقالوا : ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا
نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ
أَرَادُوا بُيُوتَ بَادِيَ الرِّأْيِ وَمَا نَرِيكَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ
نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود : ٢٧) وتنادوا بينهم : ﴿وَقَالُوا لَا
تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا﴾ ﴿١٢﴾ (نوح : ٢٣)

وكانت زوجته - والغة - عينا عليه لقومها . . . !

ويبدو أنها كانت من فئة الأغنياء وشريحة أصحاب السلطان
والنفوذ . . . ، وقد تزوجها قبل أن يختاره الله تعالى رسولا ونبيا ولدت منه
أولاده "ياما" و"حاماً" و"يافتاً" وابنة قيل اسمها : "عابر" ^(١).

فلما حُمِّل - عليه السلام - أمانة الرسالة جَنَحَتْ - والغة - إلى الفئة
الضالة ، فكانت في بيته ترقب كل ما يحدث ، ثم تنقل ذلك إلى قومها ،
فيعرفون لها صنيعها ! وتلك هي الخيانة وأي خيانة أعظم من إفشاء أسرار
البيوت ؟؟؟

بل أي خيانة أعظم وأكبر من الحيدة عن الحق والهدى إلى الباطل
والضلال !!؟

واستمرت على ذلك فزادها الله تعالى ضلالاً وأغفل قلبها عن ذكره
باتباع هواها .

(١) يقال إنها ماتت قبل الطوفان .

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (الصافات: ٧٥)
 ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ (١١٧)
 ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١١٧-١١٨)

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ (القمر: ١٠)
 ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَّارًا﴾ (٢٦)
 ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦-٢٧)

بعد أن قام "نوح" - عليه السلام - بأعباء الرسالة خير قيام ، ودعا قومه إلى الهدى والحق ، وصبر عليهم رحمة بهم ، وأوذى فتحمل . . !
 ولما لم يجد منهم قلبوا واعية وآذانا صاغية ، وأنه كلما دعاهم ازدادوا جموحاً ونفوراً ، وأنهم إن تركوا من غير عقاب ثم تناسلوا لم يلدوا إلا ذرية أسوأ منهم وأشد نكراناً وكفوراً !

عندئذ دعا ربه ، أن يفتح بينه وبين القوم الظالمين ، وأن يمحو أثرهم ويظهر^(١) الأرض من جسهم ؛ فاستجاب له ربه ، وأوحى إليه بصنع سفينة تكون له ولن أتبعه وسيلة النجاة . . !

النجاة من طوفان يعم الأرض كلها . . !

السماء تمطر بغزارة . . ، والأنهار تتدفق . . ، والينابيع تتفجر . . ، والبحار تموج بموج كالجبال . . ! أما السفينة التي تحمله - عليه السلام -

(١) لم يكن الطوفان إلا تطهيراً للأرض كلها من رجس الشرك ونجاسة الكفر ودرن الوثنية ؛ كما يتطهر الإنسان - المسلم - من خبث الحديث .

ومن معه من المؤمنين وقد حشر فيها من الحيوانات والطيور من كل زوجين اثنين ، فإنها سيكون ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلَهَا ﴾
(هود: ٤١)

وبدأ "نوح" - عليه السلام - بصنع السفينة ، وقد أرشد إلى ذلك . . . !
زرع الأشجار . . . ، وعندما نضجت وبسقت قطعها ثم جففها . . . ،
ونشرها ألواحاً . . . ثم بدأ بجمعها ، وكانت امرأته - والغة - ، تسخر من
صنعه ، وتظنه قد تم جنوناً . . . ،

وكذلك قومه المعاندون المكابرون ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ (هود: ٣٨)

فيقول لهم : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ ﴿ فَيَسْوَفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ ﴾ (هود: ٣٨-٣٩)

فلما فار التنور بالماء من أسفله ، وانطفأت ناره . . . ، كانت علامة بدء الطوفان . . . !

وكانت حبال المطر تهطل ولا تنقطع ، والأرض تتفجر عيوناً وينابيع ،
والماء لا يتسرب إلى باطن الأرض بل يعلو ويعلو . . . ويغطي ويغطي . . . !
عندها دخل "نوح" - عليه السلام - ومن معه من المؤمنين القلائل وبعض
أهله ولديه "حام" و"يافث" وكنائنه السفينة ، وقد حشر فيها من

الحيوان والطيور من كل زوجين اثنين :
﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ
أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (المؤمنون: ٢٧)

وكانت "والغة" امرأته ممن سبق عليه القول . . !
أبت أن تدخل السفينة ، وآثرت البقاء مع قومها الذين أغرقوا فأدخلوا
ناراً !! وكذلك ولده "يام" الذي ظن أنه ناج إذا اعتلى جبلاً . . !
ولقد حن إليه "نوح" - عليه السلام - ودعاه إليه فقال : ﴿ يَبْنَى
أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (هود: ٤٢) لكن الولد
غرته نفسه وأغواه شيطانه فقال ﴿ قَالَ سَأُوَى إِلَى جَبَلٍ
يَعَصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا
مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾
(هود: ٤٣).

وظلت السفينة ﴿ وَهِيَ تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾
(هود: ٤٢) أياماً وليالى . . ودعا "نوح" - عليه السلام - ربه فقال :
﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾
(المؤمنون: ٢٩) فاستجاب له . . ﴿ وَقِيلَ يَكَارِضُ أِبْلَعِي مَاءَكَ
وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ
عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود: ٤٤)
إنحس ماء السماء ، وغاص ماء الأرض في شرايينها إلى جوفها ؛
واستقرت السفينة على قمة جبل الجودي^(١) . . ،

ثم هبط "نوح" - عليه السلام - ومن معه . . ، وأخذت الحياة دورة
جديدة . ؛ وبدأت رحلة البشرية الثانية .

(١) أكثر الروايات وأشهرها أنها سلسلة جبال "أرارات" في آسيا الصغرى (تركيا) .

”سَارَّةُ” - عليها السلام -

- ❖ زوجة النبي "إبراهيم - الخليل - عليه السلام -
- ❖ وأم الأنبياء ..
- ❖ أم "إسحاق" .. و "يعقوب" والأسباط !
- ❖ جذر أصيل ، وفرعها ظليل ... ، حتى "عيسى" - عليه السلام - !

"سَارَّةُ" بتشديد الراء^(١) ، تسر القلب لتقاء عقيدتها وصفاء إيمانها ، وتسرع العين لجمالها وحسنها وبهائها ؛ فقد كانت على غير دين قومها ، راغبة عن كواكبهم السبعة التي كانوا يعبدون ، ترنو ببصيرتها إلى الذى فطرهن ، وتأتلق أنوثة وروعة فى وسط له مقاليد السلطان والحكم والنفوذ .

كانت ابنة عم لـ "إبراهيم" - عليه السلام - فأبوها "هاران" أخو "تارخ"^(٢) والد "إبراهيم" .. ! ويقال بأن والدها "هاران" كان ملكا على "حران" من أرض "بابل" .

(١) هذه هو الأشهر فى إسمها .

(٢) أكثر المفسرين والمؤرخين على أن كلمة "آزر" فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ (الأنعام : ٧٤) إنما هى لقب أو صفة وليست إسمًا .

وقبل الخوض فى الحديث عن "سارة" لابد من الحديث عن
"إبراهيم" الخليل - عليه السلام - فهو الأصل وهى الفرع ، وهو النبى
وهى زوجته ... !

فمنذ نضوجه - عليه السلام - فى صباه أدرك جنوح قومه عن الحق
والحقيقة ، بتوفيق وتدبير وتقدير من الله تعالى ، واختياره له ﴿وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٥١)
كان القوم قد مثلوا لما يعبدون من دون الله الكواكب : أصناماً وأوثاناً ،
يعكفون عليها ويقدسونها ، ويقدمون لها القرابين والنذور .

وكان أول ما هداه الله إليه أن ربط بين قلبه وعقله فى النظر إلى الكون
والتأمل فيه ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ
بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي
لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً
قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُرِيدُ أَنِ ابْرَأَ
مَّمَآ تُشْرِكُونَ﴾ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام : ٧٥-٧٩)
تلك كانت البداية ونقطة الانطلاق .

وبدأت معركة "إبراهيم" - عليه السلام - مع الشرك والمشركين ،
بالقول والفعل :

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا
عَٰكِفُونَ﴾ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ﴾ ﴿قَالَ لَقَدْ

كُنتُمْ أَنتُمْ وَعِبَادُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٦﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ
 أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ بَلْ رَأَيْتُمْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي
 فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَالِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٨﴾
 (الأنبياء : ٥٦-٥٧).

ومن ثم تحرك من القول إلى الفعل :

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ
 فَجَعَلَهُمْ﴾ ﴿٥٩﴾ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٦٠﴾
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ قَالُوا
 سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ (الأنبياء : ٥٧-٦٠).
 ودخل "إبراهيم" - عليه السلام - فى جو المحنة والابتلاء... إذ
 صمم القوم على محاكمته ثم الانتقام منه بحرقه فى النار، وأجمعوا كيدهم
 .. ﴿قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ
 قَالُوا﴾ ﴿٦٣﴾ وَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٤﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ فَرَجَعُوا إِلَى
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٨﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا
 آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٧٠﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا
 عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٧١﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخْسَرِينَ ﴿٧٢﴾ (

الأنبياء ٦١-٧٠).

إنتصرت إرادة الله تعالى وخسر هنالك المبطلون . . ، وخرج
" إبراهيم " - عليه السلام - من هذه المحنة سليماً معافى ، لم يضره مكرهم
ولا كيدهم ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾
(الصافات : ٩٨) .

وعلى الرغم من بلوج الحق أمام أعين الضالين إلا أنهم ظلوا في
عنادهم وعتوهم وغرورهم . . !
وابتلى إبراهيم - عليه السلام - بملك جبار متكبر تخطى ما عليه القوم
من كفر وشرك إلى آدعاء الألوهية . . ! هو " النمرود " ملك " بابل "
فأتاه " إبراهيم " - عليه السلام - يدعوهُ إلى عبادة الله وحده ، الذى يحيى
ويميت وبيده مقاليد كل شئ ، وإليه المصير . . ، فسخر منه " النمرود "
وقال : أنا أحيى وأميت . . !

ثم أحضر من السجن رجلين قد حكم عليهما بالقتل ، فعفا عن
أحدهما ، وقتل الآخر . . ، لكن هذه الحجة الواهية لم تعجز " إبراهيم " ،
وإن جازت على من حضر هذه المناظرة . . ، إذ قال " إبراهيم " - عليه
السلام - لهذا الجبار من غير تردد ولا تلوُّظ : ﴿فَأَنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة : ٢٥٨) عندئذ سقطت
الدعوى ، وألجم لسان " النمرود " ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة : ٢٥٨) . ، وانفض المجلس . . ! وظل
" النمرود " يعمه فى طغيانه .

لا الملك - السلطان - ^(١) ؟ . ، ولا الناس - الشعب - أصغوا بقلوبهم وعقولهم إلى الحق واتباع الهدى ! فأثر "إبراهيم" - عليه السلام - أن يهاجرهم ويهجرهم ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (العنكبوت : ٢٦) .

فخرج من تلك الديار ومعه زوجته "سارة" وابن أخيه "لوط" - عليه السلام - ومع "لوط" زوجته ^(٢) . . . ؛ واتجهوا إلى الشام (فلسطين) ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء : ٧١) . وكان مع "إبراهيم" أيضا أخوه "ناحور" وزوجته "ملكا" ؛ فكانوا طليعة الإيمان والتوحيد إلى بلاد "الشام" .

وحطوا الرحال عند "بيت المقدس" . . . ، وهناك أوحى الله تعالى إليه : إنني جاعل هذه الأرض لك ولخلفك من بعدك ، فابتنى - عليه السلام - معبداً لله تعالى شكراً على هذه النعمة ، كما أقام قبة له ولأهله . ومن "بيت المقدس" قصد إلى "التيمن" ، وهى "حبرون" ^(٣) ؟ ، وكانت قرية صغيرة جنوبى "بيت المقدس" ، فأقام فيها . . . ! .

ومرت على البلاد والعباد أيام ضنك وشدة ؟ . . . ! قحط وجذب . . . ، فقصد "إبراهيم" - عليه السلام - ومعه "سارة" إلى "مصر" يطلبان الميرة ؛ فلما أتياها مرا بأرض ملك من الجبابرة ^(٤) ، فأخبر هذا الملك بما عليه "سارة" من الجمال والبهاء ، فتاقت نفسه إلى اغتصابها

(١) هلك "النمرود" بعد ذلك شر هلكة .

(٢) سيأتى الحديث عنها فى حينه .

(٣) المعروفة اليوم بمدينة "الخليل" - عليه السلام -

(٤) قيل إسمه "سنان بن علوان" وقيل "عمرو بن امرئ القيس"

.. ، فاستدعى إبراهيم وسأله عنها .. ، فقال : هي أختى .. ! ولما رجع إليها " إبراهيم " قال لها : إن هذا سألنى عنك فقلت إنك أختى ، وليس اليوم مسلم^(١) غبرى وغيرك وأنتك أختى فلا تكذبينى عنده .
و " حملت " سارة " إلى الملك .. ، فلما دخلت عليه اشتد افتتانهُ بها ، وأقبل يريد أخذها ، فأقبلت تتوضأ وتصلى وتقول : اللهم إن كنت تعلم أنى قد آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى ، فلا تسلط على الكافر .. ! .

فأخذ الملك ، وغط .. ، وسقط مغشياً عليه ، كأنه ميت .. ، فخافت " سارة " وقالت : إن ميت يقال هي قتلتة .. ! فأرسل .
فقام إليها ثانية يريد لها ، ففعلت كالمرّة الأولى .. ، وكذلك
ثالثة^(٢) ؟ . فأقلع عنها وقد انتابه الخوف والذعر ، ثم دعا رجلاً من حاشيته وقال له : إنك لم تأتيني بإنسان ولكن أتيتنى بشيطان أخرجها من بين يدي .. ! وأعطاها " هاجر " .. !

فعادت " سارة " إلى " إبراهيم " - عليه السلام - وكان قائماً يصلى ، فلما أحس بها انصرف وسألها : مهيم !؟^(٣) ؟ فقالت : كفى الله كيد الظالم .. . وأخدمنى " هاجر " !!
وأضحت " هاجر " - القبطية المصرية - مولاة لـ " سارة " .. ! وكانت من قبل " جارية " فى قصر الملك الفرعونى . وكانت ذات حسب ونسب ، إذ لم يكونوا - أى الفراعنة - ليؤوا فى قصورهم من الجوارى إلا ذوات الأصول .

(١) وفى رواية : " مؤمن " بدلاً من " مسلم "

(٢) رواه " البخارى " و " أحمد " .

(٣) أى : ما وراؤك من الخبر ؟

ثم إن "إبراهيم" - عليه السلام - ارتحل من "مصر" بأهله عائداً إلى أرض "التيمن" - حبرون - ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل ، قد اكتسبه كل ذلك فى رحلته إلى "مصر" . .

فاستقبله أهل البلاد بالتكريم والتعظيم ، وإعلان الطاعة والولاء ، ثم إن ابن أخيه لوطاً - عليه السلام - آستأذنه بالنزوح عنه إلى أرض "الغور"^(١) - حيث مدينة "سدوم" . أمّ تلك البلاد حينئذ - ، فأذن له ، فخرج "لوط" - عليه السلام - بأهله وحاشيته وأمواله . . ، حتى إذا ما دنا من مقصده وهدفه هاجمه الجبابرة من أهلها وأسروه واستولوا على ما كان معه من أموال وأنعام . . !

وبلغ الخبر "إبراهيم" - عليه السلام - فسار إليهم فى ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً من أصحابه وأتباعه ، فأستنقذ "لوطاً" - عليه السلام - واسترجع أمواله ، وقتل من اعداء الله ورسوله خلقاً كثيراً ، وتبع فلولهم حتى بلغ شمالى "دمشق" وعسكر بظاهرها عند قرية "برزة" .

ثم رجع إلى بلاده مؤيداً منصوراً ، فتلقاء أهلها وعظماؤها بالتكريم والتعظيم والخضوع لسلطانه ، كما رجع "لوط" - عليه السلام - إلى "سدوم" حيث أقام واستوطن وكان قد أوحى إليه بالرسالة والنبوة . وهنا ، عزيزى القارئ تتداخل حياة زوجات "إبراهيم" و "لوط" - عليهما السلام - ، "سارة" و "هاجر" و "والهة" . . !

وهذا التداخل من حيث المعاصره الزمنية ، والتواصل الاجتماعى . فبعد عودة "إبراهيم" و "سارة" من مصر . . ، واستقرار "لوط" فى أرض "سدوم" . . ؛ وكان قد مر على "إبراهيم" ثمانية عقود من عمره

(١) المعروف : بـ "اغورزغر"

ولم ينجب ولداً . . . ، قالت له " سارة " : إن الله تعالى قد حرمنى الولد ،
فأدخل على أمتى هذه - " هاجر " - لعل الله يرزقنا منها ولداً . . !
رغبة منها فى إرضائه واشباعاً لغريزة الأمومة عندها ^(١) ، وكان ذلك
تنازلاً منها عن حق الولاء .

فلما دخل " إبراهيم " - عليه السلام - بـ " هاجر " حملت ، ثم وضعت
طفلاً أسماه والده " إسماعيل " ؛ وكان " إبراهيم " - عليه السلام - فى
السادسة والثمانين من عمره ؛

أحب الولدَ والأم ، ومال إليهما . . ، فتفاعلت غريزة الغيرة الأنثوية
فى نفس " سارة " ، ثم اشتدت فطلبت من " إبراهيم " أن يغيب " هاجر "
وولدها عن ناظرها ، فحملهما إلى برية " فاران " - الحجاز - ، وأسكنهما
وادي " بكة " - مكة - ؛ وكانت أرضاً قاحلة لا ماء فيها ولا ضرع ولا
زرع . . !

أما " سارة " فإن عوامل الغيرة قد حركت فى كيائها الأنثوى بواعث
الحمل . . ، فبعد مرور ثلاثة عشر عاماً على مولد " إسماعيل " - عليه
السلام - جاءت البشرى من الله تعالى لـ " إبراهيم " بـ " إسحاق " - عليه
السلام - ؛ وكان " إبراهيم " - عليه السلام - فى العقد العاشر ، و " سارة "
فى العقد التاسع . . ! ولقد كانت البشرى من الله تعالى على لسان
ملائكته : " جبريل " و " ميكائيل " و " اسرافيل " . . . !

(١) استناداً إلى قولها : (يرزقنا) .

”والهة“

- ❖ كما ولغت امرأة "نوح" فى الكفر . . !
- ❖ ولهت امرأة لوط فى الشرك وسوء الخلق وفساد السريرة
- ❖ خانت امرأة "نوح" - والهة - نبى الله ورسوله إذ ضلعت مع قومها فى وثنيتهن ، وأفشت سره .
- ❖ كذلك خانت "والهة" نبى الله "لوطاً" - عليه السلام - بالتواطؤ مع أسفل الخلق خلقاً ، ورضيت معهم بالدون ، وحتت إليهم حين أخذتهم الصيحة ، فكانت من الهالكين ومثلاً للكافرين .
- عاد "لوط" - عليه السلام - بعد خلاصه من أسره إلى أرض "سدوم" التى اختارها وطناً له ، لكن بقية أهلها كانوا فى ضلال مبين ، كانوا أسوأ الناس خلقاً ، يأتون الفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين ، إذ كانوا يأتون الذكران ويذرون الإناث . . . علانية جهاراً . . فى ناديهم . . ، ويتحللون من لباسهم . . ، ويبدون عوراتهم وسواتهم . . ، ويتفاخرون بذلك ، دونما رادع ولا وازع ؛ فكانوا أول نادى عراة فى تاريخ الإنسانية والبشرية !!

وحاول "لوط" - عليه السلام - هدايتهم وردعهم عما يفعلون وينذرهم بأس الله الذى لا يرد عن القوم المجرمين .
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَلْحَشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) ﴿أَنكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

(العنكبوت : ٢٨-٢٩) .

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٩) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣٠) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ (٣١) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢) ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ﴾ (٣٣) ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء : ١٦٠ - ٦٦) ﴿فَمَاذَا أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ؟ . . ؟

و﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (العنكبوت : ٢٩)
﴿قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (الشعراء : ١٦٧) .

إزاء تعنتهم وتنكرهم واستغراقهم فى ضلالتهم كان لا بد من عقابهم والاقتصاص منهم . . . وأى عقاب !!!

فقد أرسل الله تعالى ملائكته : " جبريل " و " ميكائيل " و " إسرافيل " ^(١) ؟
- عليهم السلام - ليوقعوا بقوم " لوط " - أهل " سدوم " العذاب المهين ،
ويجعلوهم عبرة للذاكرين .

فى نفس الوقت حملوا البشرى إلى إبراهيم - عليه السلام - و " سارة " بـ
" إسحاق " ؛ إذ جاؤوا " إبراهيم " على هيئة الضيفان . . .
﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا
إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ
بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَّ رَتَلًا يَاسْحَقُ
وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَيْلَتَى أَءَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ
وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ
مَجِيدٌ﴾ (هود : ٦٩-٧٣)

قال " السدى " :

(وخرجت الملائكة من عند " إبراهيم " نحو قوم " لوط " ، فأتوها
نصف النهار ، فلما بلغوا نهر " سدوم " لقوا ابنة " لوط " تستقى منه الماء
لأهلها ؛ وكانت له ابنتان ، إسم الكبرى " ريثا " والصغرى " ذغرتا " ،
فقالوا لها : يا جارية هل من منزل ؟ فقالت لهم : نعم . . . ! ، مكانكم . .
لا تدخلوا حتى آتيكم ، خوفا عليهم من قومها ، فأتت أباها فقالت :
أبتاه . . . أراك فتيان على باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم قط هى أحسن

(١) كان يكفى ملك واحد ولكن الله تعالى أراد من العدد مبلغ ما كان عليه القوم من
السوء والفساد !!

منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم . . ! وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلاً فقالوا : خل عنا فلنضيف الرجال .

فجاء بهم ، فلم يعلم أحد إلا أهل البيت ، فخرجت أمراته فأخبرت قومها فقالت : إن فى بيت " لوط " رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط ، فجاءه قومه يهرعون إليه)

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۖ﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومِ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٧-٧٨﴾ (هود : ٧٧-٧٨)

جاء قومه إلى بيته يريدون اقتحام الدار ، وهو - عليه السلام - من وراء الباب يدافعهم وينصحهم ويذكرهم بزوجاتهم ونسائهم ويعرض عليهم بناته - فالنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم !!


حتى حينه . . لم يكن " لوط " - عليه السلام - يعرف حقيقة ذوات ضيفاته ، وأنهم من الملائكة . . ، فاستغاث ربه سبحانه وتعالى فقال : ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِىَ بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود : ٨٠) عندئذ أفصح الملائكة عن أمرهم فقالوا : ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ ثم قالوا : ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود : ٨١) .

أعلنوه بالعذاب الذى سيقع بالقوم ، وأمره أن يخرج بأهله وبناته من الدار . . ومن المدينة بالكلية . . ، وأخبروه أن عذاب الله تعالى سيكون فى عماية الصبح . . ! فلا يلتفت أحد منكم إلى الورا . . ! ﴿إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾ .

إلا "والهة" التى كانت من الضالين الفاسدين ، والتى خانت أمانة النبوة . . ، والتى سبق عليها القول ، فإنه واقع بها عذاب الهون فى الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد!!!

وخرج "لوط" - عليه السلام - من باب خلفى فى الدار ، ومعه بناته . . كذلك أمراته "والهة" . . ، حتى إذا ما آبتعدوا وقعت الواقعة بالديار وأهلها ! . .

إقتلعها "جبريل" - عليه السلام - بطرف جناحه وكانت سبع مدن - بمن فيهن من الأمم والحيوانات ، فرفعها حتى بلغ بها عنان السماء^(١) ؟ ، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها .

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ مُّنْضُودٍ^(٢)﴾  مُسَوِّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٨٢-٨٣) .

وأنصياحاً لأمر الله تعالى لم يتلفت "لوط" وبناته إلى الوراء . . ، إلا أمراته "والهة" ! . .

فإنها لما سمعت صوت الزلزلة والرجفة - وكانت غير مصدقة - لامن قبل ولا من بعد - التفتت وصرخت : واقوماه . . ! فسقط عليها حجر فدَمغها . . وألحقها بقومها . . ! فكانت من الهالكين

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

(الذاريات : ٣٧) .

(١) يقال إن الملائكة فى السماء سمعت أصوات الديكة ونباح الكلاب .

(٢) السجيل : فارسى مُعَرَّبٌ ، وهو : الشديد الصلب القوى ، ومنضود : يتبع بعضه بعضاً فى نزوله .

إذ جعل الله تعالى مكان تلك البلاد بحيرة منتنة^(١) ، لا ينتفع بمائها ، ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة لها ، لرداءتها ، ودناءتها ، فصارت عبرة وعظة ومثلاً ، وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه ممن خالف أمره ، وكذب رسله ، واتبع هواه - وعصى مولاه . . . ، ودليلاً على رحمته بعباده المؤمنين في إنجائهم المهلكات ، وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء ١٧٤-١٧٥) .

(١) تعرف اليوم بـ " البحر الميت " بين الأردن وفلسطين .

”هاجر” - عليها السلام-

- ❖ كان لها من اسمها نصيب . . ، وأى نصيب !!
- ❖ هاجرت من "مصر" إلى "فلسطين" جارية " . . !
- ❖ ثم هاجرت البكورية والعذرية للتسرى !
- ❖ فكانت سرّية لأبى الأنبياء "إبراهيم الخليل" - عليه السلام -
- ❖ ثم هاجرت من فلسطين " إلى بركة " فاران " . . ومعها ولدها الرضيع "إسماعيل" - عليه السلام -
- ❖ هجرت دنيا الناس والبشر . . فاحتضنتها يد العناية الربانية . . !

ونعود إلى "هاجر" - عليها السلام - . . !
لقد ذهب بها وبولدها زوجها "إبراهيم" - عليه السلام - بعيداً عن
عينى "سارة" . . ، إنطلق بهما إلى بركة "فاران" - الحجاز - ،
ويروى لنا الإمام "البخارى" والإمام "أحمد" عن "ابن عباس" -
رضى الله عنهما - قصة ذلك - عن رسول الله ﷺ ؟ فيقول : (ثم جاء بها
"إبراهيم" وبابنها "إسماعيل" - وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت ،
عند دوحة فوق "زمزم" فى أعلى المسجد وليس بـ "مكة" يومئذ أحد ،

وليس بها ماء فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جرأباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ؛ ثم قفى "إبراهيم" منطلقاً ، فتبعته "أم إسماعيل" فقالت : يا "إبراهيم" أين تذهب وتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شئ ؟ فقالت له ذاك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : الله - تعالى - أمرك بهذا ؟ قال : نعم . . . ، قالت : إذاً لا يضيعنا ، ثم رجعت .

فأنطلق "إبراهيم" حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم : ٣٧) .

وجعلت "أم إسماعيل" : ترضع "إسماعيل" وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ^(١) ؟ ، فأنطقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت "الصفاء" أقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً . فلم تر أحداً ، فهبطت من "الصفاء" حتى إذا بلغت بطن الوادى رفعت طرف ذراعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت "المروة" فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً . . . ، ففعلت ذلك سبع مرات .

قال "ابن عباس" - رضى الله عنهما - قال : النبى ﷺ : (فذالك سعى الناس بينهما) فلما أشرفت على "المروة" ^(٢) . سمعت صوتاً فقالت :

(١) وفى رواية : يتلبط .

(٢) أى فى الشوط السابع .

صَهْ - تريد نفسها - ثم تَسَمَّعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أُسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هى بالملك عند موضع " زمزم " ، فبحث بعقبه حتى ظهر الماء . . ، فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا . . ، وجعلت تغرف الماء فى سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف) .

قال " ابن عباس " - رضى الله عنها - قال : النبى ﷺ : (يرحم الله " أم إسماعيل " لو تركت " زمزم " . . لكانت " زمزم " عيناً معيناً)^(١) ؟ .

(فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافى الضيعة ، فإن ها هنا بيتا لله ، يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وأن الله تعالى - لا يضيع أهله .

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية ، تأتية السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله ؛ فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من " جرهم " - أو أهل بيت من " جرهم " ، مقبلين من طريق " كداء " ، فنزلوا فى أسفل " مكة " فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء . . ، فأرسلوا جرياً^(٢) - أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا وأخبروهم بالماء فأقبلوا . . ! و " أم إسماعيل " عند الماء ، فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم . . ولكن لا حق لكم فى الماء عندنا ، قالوا : نعم)

قال : " ابن عباس " - رضى الله عنهما - : قال النبى ﷺ (فألقى ذلك " أم إسماعيل " وهى تحب الأئس ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم) . وشب الغلام " إسماعيل " - عليه السلام - وتعلم اللغة العربية من " جرهم " ، كما أتقن ركوب الخيل وبرز ، ثم تعلم برى السهام ومهر فى ذلك مهارة فائقة .

(١) أى : عيناً ظاهرة للعيان على وجه الأرض . .

(٢) الجرى : الوكيل : والمقصود هنا مندوباً عنهم ليستطلع لهم الأمر .

وكان "إبراهيم" - عليه السلام - يأتى إليهم بين الحين والحين زائراً مطمئناً لأحوالهم . . ، ثم ينصرف عائداً إلى "حبرون" .
 وقبل أن تأتية البشرى بـ "إسحاق" - عليه السلام - رأى "إبراهيم" - عليه السلام - رؤيا . . أنه يذبح ولده . . وحيدة . . بكره . . ^(١)؟ .
 ورؤيا الأنبياء - عليهم السلام - حق ووحي . . ، فلا بد من التنفيذ . . ،
 فأتى "إبراهيم" - عليه السلام - ، وادى مكة زائراً كما كان يفعل من قبل ؛
 ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه
 قسراً ويذبحه قهراً ﴿قَالَ يَبْنِيْ اِنِّىْ اَرَىْ فِى الْمَنَامِ اَنِّىْ اَذْبَحُكَ
 فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىْ﴾ (الصافات : ١٠٢) .
 خَيْرَةُ فِي الطَّاعَةِ وَالْاَسْتِجَابَةِ ..

ولم يكن الولد المهياً للنبوة والرسالة فى علم الله تعالى وتقديره ليرفض
 أو يعترض . . ، فقال : ﴿يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ
 مِنْ الصّٰبِرِيْنَ﴾ (الصافات : ١٠٢) وهذا الجواب فى غاية السداد
 والطاعة للوالد ولرب العباد .

وخرج "إبراهيم" بـ "إسماعيل" بعيداً عن أعين "هاجر" ، فلما كان
 بـ "منى" ، أضجعه والده إلى الأرض ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ﴾ وقد
 ﴿أَسْلَمًا﴾ استسلما لأمر الله . . ، كبر "إبراهيم" وتشهد
 "إسماعيل" . . ، وتناول "إبراهيم" الشفرة ليمرها على رقبة
 "إسماعيل" نودى من قبل الله تعالى : ﴿وَنَادَيْنَاهُ اَنْ يَّتَابَرٰهِيْمُ ﴿١١٠﴾
 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١١١﴾ اِنَّ هٰذَا
 لَهُوَ الْبَلٰۤءُ الْمُبِيْنُ﴾ (الصافات : ١٠٤-١٠٦) .

(١) نصت "التوراة" على ذلك فلا خلاف .

وليس "إسماعيل" ^(١) أقل طاعة منك ، حين قبل التضحية أمثالاً
 لأمر الله تعالى . . !

وَعَادَ إِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ حَبْرُونَ" فِي "فِلَسْطِينَ" . . . ، وَتَلَقَّى الْبَشْرَىٰ
بـ "إِسْحَاقَ" - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَخَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى شَاكِرًا حَامِدًا
﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾^(٢) مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿وَبَارَكْنَا

(١) إسماعيل : إسم مركب يعنى : سمع الله دعائى وكذلك "إسرائيل" ، الذى يعنى : عبد الله .

(٢) الملاحظ في البشرى بإسحاق أنه مولود ذكر من "سارة" ونبي أيضاً...! ومن وراء إسحاق "يعقوب" كذلك -عليهما السلام- .

"إبراهيم" لفراقها حزناً شديداً ، ورثاها ، واشترى من رجل من بنى :
حيث " إسمه " عفرون بن صخر " مغارة بأربع مائة مثقال ، ودفنها فيها .
أما " هاجر " فقد ماتت فى " مكة " ، ولم يحضر " إبراهيم " وفاتها ،
وقام ولدها " إسماعيل " بدفنها ^(١) ، وحزن عليها أشد الحزن ، إذ كانت
سلواه وأنيسته .

(٢) قيل عند " الحجر "

”قنطورا” و”حجون”^(١) . . .

❖ إسمان لزوجتين بنى بهما "إبراهيم" الخليل ؛ عليه السلام . بعد
"سارة" و"هاجر"

❖ تزوجهما وقد تجاوز العقد الثانى عشر من عمره .

❖ وقد أنجبنا كثيراً من الذرية . . !

❖ ومن نسل الأولى "قنطورا" كان بنو "مدين"

قوم نبي الله شعيب " - عليه السلام -

"قنطورا" ابنة "يقطن" - الكنعانية . . !

تزوجها "الخليل" - عليه السلام - بعد وفاة "سارة" و"هاجر" . . !

فأنجبت منه ستة من البنين هم : "مديان" و"زمران"

و"سرج" و"يقشان" و"نشق" ذكر ذلك "أبو القاسم السهيلي" فى

كتابه : "التعريف والإعلام" - ولم يسم السادس من الأبناء .

(١) أما "الحجون" بفتح الحاء فهى مقبرة أهل مكة .

ومن الأول "مديان" : ولد "مدين" الذي هو رأس القوم الذين أرسل إليهم "شعيب" - عليه السلام - ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (الأعراف : ٨٥) .

فهل كان "شعيب" منهم ، ومن صلبهم ؟ أم له نسب يتصل بهم ؟
اختلف في ذلك كثيراً

قال "ابن كثير" - رحمه الله - ^(١) : (كان أهل مدين "قوما عرباً يسكنون مدينتهم "مدين" التي هي قريبة من أرض "معان" من أطراف الشام ، مما يلي ناحية الحجاز ، قريباً من بحيرة "لوط" ، وكانوا بعدهم بمدة قريبة .

و"مدين" قبيلة عرفت بهم ، وهم من بنى "مديان" ابن "إبراهيم الخليل" و "شعيب" نبيهم هو ابن "ميكيل بن يشجن" - ذكره "ابن إسحاق" ، قال : ويقال له بالسريانية : "يثرون" ، - وفي هذا نظر .
ويقال : "شعيب بن يشخر بن لاوى بن يعقوب" .

ويقال : "شعيب بن عيفا بن مدين (مديان) بن إبراهيم .
ويقال : "شعيب بن ضيفور بن عيفا بن ثابت بن مدين (مديان) بن إبراهيم" .

وقيل غير ذلك في نسبه .
وقال "ابن عساكر" : ويقال جدته - ويقال أمه - بنت "لوط" - عليه السلام - .

وعن "وهب بن منبه" أنه قال : "شعيب" و "ملغم" ممن آمن بـ "إبراهيم" يوم أحرق بالنار ، وهاجر معه

(١) قصص الأنبياء لـ "ابن كثير" - في البداية والنهاية .

إلى الشام ، فزوجهما ابنتى " لوط " ^(١) - عليه السلام - ذكره " ابن قُتيبة " وفي هذا كله نظر أيضا - والله أعلم - (أ. هـ .
وذكر أبو القاسم السهيلي " فى كتابه - أيضا - أن إبراهيم - عليه السلام - تزوج بعد " قنطورا " بـ " حجّون بنت أمين " فولدت له : " كيسان " و " سورج " و " أميم " و " لوطان " و " نافس " .
فهل تزوج من " حجّون " بعد موت " قنطورا " أم أنه تزوجها فى حياتها ؟

ويظل السؤال معلقا .

وليس أحد من أولاد " إبراهيم " من " حجّون بنت أمين " من له ذرية أو سلاله ؛ أو ذكر سوى هذه الأسماء . . ، وكلها مرويات إسرائيلية عن " كعب الأخبار " أو " وهب بن منبه " أو غيرهما ، ممن دسوا هذه الأخبار على الناس ، فذهب بعض العلماء والمؤرخين إلى الأخذ بها والتسليم ، وذهب الأكثرون إلى ردها .

(١) ريتا " و " زهزنا " .

**”عمارة بنت سعد” ابن أمامة بن أكيل العماليقى -
و”السيدة بنت مضاض” بنت عمرو الجرهمى -**

- ❖ زوجتى ”إسماعيل” - عليه السلام -
- ❖ أما الأولى ففارقها بأمر أبيه ”إبراهيم”
- ❖ وأما الثانية فكان له معها الدوام والود والسكن ؛ . . والذرية . . !
- ❖ والثانية ”جرهمية” ممن نشأ ”إسماعيل” بينهم فى ”مكة” ، وتلقى عنهم العربية الفصحى قال رسول الله ﷺ : (أول من فتق لسانه بالعربية البينة ”إسماعيل” وهو ابن أربع عشرة سنة) (١)
- بعد وفاة ”هاجر” تزوج ”إسماعيل” - عليه السلام - بفتاة من ”العماليق” ، وهم عرب قدموا إلى ”مكة” وقد عمرت فأقاموا فيها مع قبيلة ”جرهم” الذين كانوا أول من نزل مع ”هاجر” ، وقد استأذنوها

(١) رواه ”محمد الباقر” عن على زين العابدين - رضى الله عنهما - .

بماء " زمزم " فأذنت لهم - كان إسم الفتاة من العماليق " عمارة بنت سعد " .

وكان من عادة سيدنا " إبراهيم " الخليل - عليه السلام - أن يأتي " مكة " زائراً لـ " هاجر " وولده " إسماعيل " يتفقد حالهم ويطمئن إليهم ، بين الحين والحين .

فأتى " مكة " وقد ماتت " هاجر " وتزوج " إسماعيل " . . . ، فلم يجد ولده في البيت ، فسأل زوجته " عمارة " عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا . . . ، يسعى علينا في طعامنا وشرابنا . . . ، فسألها " إبراهيم " : كيف عيشكم وحالكم؟ فقالت " عمارة " : نحن بشرٌ . . . ! نحن في ضيق وشدة . . . ، واشتكت له من سوء الحال . . . ، فأدرك - عليه السلام - أنها ليست في قناعة ورضى . ، وأنها ليست بالزوجة الصالحة الجديرة بنبي . . . ، فأثر الرحيل ، وقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام وقول له يغير عتبة بابه !! ولم يخبرها عن نفسه بشيء .

فلما رجع " إسماعيل " من سعيه - وكان آنس شيئاً^(١) ؟ . - قال لزوجته : هل جاءكم من أحد؟ فقالت : نعم جاءنا شيخ من صفته كذا وكذا . . . ، فسألنا عنك فأخبرته - وسألنا كيف عيشنا؟ فأخبرته أننا في جهد وشدة . . . ، فقال " إسماعيل " : هل أوصاك بشيء؟ قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول لك : غير عتبة بابك . . . ! فقال " إسماعيل " ذاك أبي . . . ! ، وقد أمرني أن أفارك ، فالحقى بأهلك؛ وطلقها .

ثم تزوج - عليه السلام - من " السيدة بنت مضاض " - الجرهمية . . . !

(١) لعله - عليه السلام - رأى شيئاً جذب اهتمامه .

وجاءهم "إبراهيم" الخليل - عليه السلام - زائراً أيضاً . . . بعد فترة ، فلم يجد "إسماعيل" . . . ، ووجد "السيدة" زوجته ، فسألها عنه ، فقالت : خرج يستغى لنا . . . ، فقال " كيف أنتم ؟ وكيف عيشكم وحالكُم ؟ فقالت " : نحن بخير وسعة ، وحمدت الله تعالى ، فسألها : ما طعامكم ؟ قالت اللحم . ثم سألها : وما شرباكم ؟ فقالت : الماء . . . ، فدعا "إبراهيم" - عليه السلام - ربه قائلاً : اللهم بارك لهم في اللحم والماء . . . !

وقال "إبراهيم" لـ "السيدة" : إذا جاء زوجك فأقرئني عليه السلام - ، ومريه - يثبت عتبة بابه . فلما رجع "إسماعيل" سألها : هل أتاكم من أحد؟ قالت : نعم أنا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه ، فسألني عنك فأخبرته ، فسألني : كيف عيشنا . فأخبرته أننا بخير ، قال : فهل أوصاك بشيء؟ قالت نعم . . . هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . . . !

قال : "إسماعيل" - عليه السلام - " ذاك أبى . . . ، وأنت العتبة ، وأمرني أن أمسكك .

وأنجب "إسماعيل" - عليه السلام - منها اثني عشر ولداً ذكراً هم : "نابت" و "قيدار" و "أزبل" و "ميشى" و "مسّمع" و "ماش" و "دوصا" و "آزر" و "يطور" و "نبش" و "طيما" و "قيذما" .

ذكرهم بأسماءهم "محمد بن إسحاق" ؛ وهى نفس الأسماء عند أهل الكتاب . وكان له ابنة اسمها "قسمة" ، أوصى أخاه "إسحاق" عند وفاته أن يزوجه من ابنه "العيص" أخى "يعقوب" - عليه السلام -

وعرب الحجاز - كما يقول المؤرخون وعلماء النسب - هم من ذرية
ولديه " نابت " و " قيدار " ؛ وأمهم هي " السيدة بنت مضاض
الجرهمية " .

وهنا تنقطع أخبارها فلا ندري هل ماتت في حياة " إسماعيل " - عليه
السلام - أم بعده ؟ الله أعلم .

”رفقا بنت بتونيل”

- ❖ و” قيل : ”رفقة“ . . ، كلاهما من جذر لغويّ واحد ، وهو الرفق!
- ❖ تزوجها ”إسحاق“ - عليه السلام - بعد وفاة أبيه بوصية منه
- ❖ كانت زوجة لنبي وأما لنبي . !
- ❖ زوجة لإسحاق وأما ليعقوب . . !
- ❖ أما إسم إسحاق فكان تسميةً من أمه ”سارة“ ولفظة بالعبرية : يَتَصَحَّقُ ؛ ومعناه : يَضْحَك ؛ وقد أرادت سارة : بذلك أن من يسمع بحملها له وهى عاقر . . وزوجها ”إبراهيم“ عليه السلام - قد شاخ وهرم . . ، لا بد أن يضحك !! ليس سخرية ولكن إعجاباً بقدرة الله تعالى .
- لم يذكر القرآن الكريم شيئاً عن قصة زواج ”إسحاق“ من ”رفقة“ ولا ورد فى السنة المطهرة ما يشير إلى ذلك ؛ لكن المؤرخين وكتاب السير

اعتمدوا رواية " التوراة " ^(١) التى بأيدى أهل الكتاب ، وقد بينوا ذلك ونوردها لك - عزيزى القارئ - كما أوردوها ؛ ^(٢) .

وملخصها أن " إبراهيم " لما شاخ أتى بعبدته المستولى على بيته (لعازر) ^(٣) .

وأحلفه على أنه لا يأخذ لابنه " إسحاق " زوجة من بنات الكنعانيين الموجودين فى فلسطين !!! ويأخذ له زوجة من عشيرته وبنى أبيه ، وأنه لا يرد ابنه إلى الأرض التى خرج هو منها . . . ، إذا تأبّت عليه الزوجة ، وامتنعت من الانتقال .

فذهب ذلك العبد وهياً ما يصلح أن يكون هدية للزوجة ، وأخذ من الجمال والأموال ما أحب ، وذهب إلى " آرام " ^(٤) . ، وأناخ جماله خارج المدينة التى بها أسرة " ناحور " أخى " إبراهيم " ، وإذا بفتاة حسنة المظهر . . . خرجت من المدينة وجرتها على كتفها ، فملأت الجرة . . . ، فقال لها العبد : أسقيني . . . ، فأنزلت الجرة وأعطته إياها ليشرب ، وقالت : إستقى لجمالك أيضاً . . . ، فتفرس فيها إلى أن فرغ من سقى الجمال ، وحلى أنفها بخزامة ^(٥) من ذهب ، ويديها بسوارين من الذهب ، وسألها بنت من هى ؟ وهل عند أبيها مكان لمبئته وجماله ؟

فأخبرته بأنها بنت " بتوئيل من ناحور " ^(٦) . وأن عندهم مبيتا وعلفا لماشيته ، وأسرعت إلى البيت وأخبرت بما رأت ، وكان إسم الفتاة :

(١) فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين .

(٢) قصص الأنبياء لـ " عبد الوهاب النجار " (ص : ١٤٤) .

(٣) أي المتولى على المعبد .

(٤) آرام : بابل .

(٥) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد فيها الزمام .

(٦) على هذا تكون ابنة ابن أخى " إبراهيم " .

"رفقة" ؛ وقام "لابان بن بتوئيل" ^(١) . فى الحال إلى حيث عبد "إبراهيم" وأضافه وأكرم مثواه .

وفى الحال أخبرهم عبد "إبراهيم" ، بما جاء لأجله وأنه يريد "رفقة" لابن سيده ، فأجابوه إلى ما طلب .

وأعطاهما آنية من ذهب وفضة وثياباً وتحفا لأخيها وأمها ؛ ثم طلب إليهم أن ينصرفوا سريعاً ، ووافقته "رفقة" على التعجيل بالمسير ، فذهب بها إلى ديار سيده .

وكانت عزاء لـ "إسحاق" بعد موت أمه - "سارة" - (إ.هـ) .
ومن خلال استقراء حياة "إسحاق" - عليه السلام - فإننا نجد أنه لم يكن له دور ملحوظ سوى إرث النبوة بعد أبيه "إبراهيم" ثم قيامه على هذا الإرث خير قيام ؛ ثم إنجابه لـ "يعقوب" - عليهم السلام - .

حملت رفقة من "إسحاق" - عليه السلام - ثم ولدت توأمين ذكرين تقول رواية "التوراة" عن ذلك ^(٢) : (إن "إسحاق" لما تزوج "رفقا" ^(٣) بنت بتوئيل " فى حياة أبيه ، كان عمره أربعين سنة ، وأنها كانت عاقراً ، فدعا الله لها فحملت ، فولدت غلامين توأمين : أولهما "عيسو" - وهو الذى تسميه العرب "العيص" ، وهو والد الروم ، والثانى : خرج وهو أخذ بعقب أخيه فسموه "يعقوب" ، وهو "إسرائيل" والذى ينسب إليه "بنو إسرائيل" .

وكان "إسحاق" يحب "العيسو" أكثر من يعقوب ، لأنه بكره . . ! ، وكانت أمهما "رفقا" تحب "يعقوب" أكثر لأنه الأصغر !! .

(١) أخوها .

(٢) نورها على ما فيها من تخطيط وافتراء .

(٤) كذا جاءت تسميتها عند "ابن كثير" .

فلما كبر "إسحاق" . وضعف بصره اشتهى على ابنه "العيص" طعاما ، وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطبخه له ، ليبارك عليه ويدعوه له ، وكان "العيص" صاحب صيد ، فذهب يبتغى ذلك ، فأمرت "رفقا" ابنها "يعقوب" أن يذبح جديين من خيار غنمه ، ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ، ويأتى إليه به قبل أخيه ليدعوه له ، فقامت فالبسته ثياب أخيه ، وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين ، لأن : العيص " كان أشعر الجسد ، ويعقوب : ليس كذلك .

فلما جاء به وقربه إليه ، قال : من أنت ؟ قال : ولدك . . فضمه إليه وجسه وجعل يقول : أما الصوت فصوت : يعقوب " وأما الجسد والثياب فـ "العيص" .

فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً ، وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده ، وأن يكثر رزقه وولده .

فلما خرج من عنده جاء أخوه "العيص" بما أمره به والده فقربه إليه ، فقال له : ما هذا يا بنى ؟ قال : هذا الطعام الذى اشتهيته . ! فقال : أما جئتني به قبل الساعة وأكلت منه ودعوت لك ؟ فقال : لا والله . . !

وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك ، فوجد فى نفسه عليه وجداً كثيراً . . . ، وذكروا أنه توعده بالقتل إذا مات أبوهما . وسأل أباه فدعا له بدعوات أخرى ، وأن يجعل لذريته غليظ الأرض وأن يكثر أرزاقهم وثمارهم .

فلما سمعت أمهما - "رفقا" - ما يتوعد به "العيص" أخاه "يعقوب" ، أمرت ابنها "يعقوب" أن يذهب إلى أخيها "لابان" بأرض "حران" ، وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه عليه ، وأن يتزوج من بناته ، وقالت لزوجها "إسحاق" أن يأمره بذلك ، ويوصيه ، ويدعو له ، ففعل (إ. هـ .

خرج "يعقوب" إلى "حران" هارباً...! وبقي "العيص" في
"فلسطين" إلى جانب أبيه "إسحاق" وأمه "رفقة" . . . ، وكان قد ورث
السلطان عن أبيه واجتمع له المال الكثير . . . والعبيد . . . والمواشي . . .
والنفوذ على الناس !!

ولقد عاشت "رفقة" دهرأ . . . إلى إن أُبْتَعَتْ الله تعالى "يعقوب"
نبياً ورسولاً ، عاد من أرض "حران" إلى "فلسطين" بأزواجه وإمائه و
أولاده في حشد عظيم . . . واصطاح مع أخيه "العيص" . . . !
ولم تذكر كتب التاريخ متى كانت وفاتها وأين دفنت - على التحديد؟

”ليا” و”راحيل”^(١) ؛ و”زلفى” و”بلهى”

- ❖ ”ليا” و ”راحيل” أختان لأب واحد هو ”لابان”^(٢) .
- ❖ وزجتان لنبي الله ”يعقوب” - عليه السلام -
- ❖ وكان الزواج بالأختين مشروعاً آنذاك على مذهبهم . . .^(٣)
- ❖ منهما ومن جاريتهما ”زلفى” و ”بلهى” كان الأسباط
الأثنى عشر بنو إسرائيل .
- ❖ ومنهن تسلسلت النبوة فى بنى ”إسرائيل” حتى عيسى -
عليه السلام - .

خرج ”يعقوب” - عليه السلام - هارباً من غضب أخيه
”العيس” . . . ، مشمولاً بدعوة أبيه ”إسحاق” - عليه السلام - ،
وتقول رواية ”التوراة” :

(فأدركه المساء فى موضع فنام فيه ، وأخذ حبراً فوضعه تحت رأسه
ونام ، فرأى فى نومه ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض ،

(١) ويقال ليثة بدلاً من ”ليا” ؛ كما حرف إسم ”راحيل” إلى ”راشيل” وأما ”زلفى” فكانت
جارية لـ ”ليا” ، و”بلهى” كانت جارية لـ ”راحيل” .

(٢) أخو ”رفقة” وخال ”العيس” و”يعقوب” .

(٣) ثم نسخ ذلك .

وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون ، والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له : "إنى سأبارك عليك وأكثر ذريتك ، وأجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك" ^(١) .

فلما هب من نومه فرح بما رأى ، ونذر لله إن رجع إلى أهله سالماً ليبين فى هذا الموضع معبداً لله عز وجل ، وأن جميع ما يرزقه من شئ يكون لله عُشره .

ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهنا يتعرفه به ، وسمى ذلك الموضع " بيت إيل " ، أى : بيت الله ^(٢) ؟ .

(فلما قدم " يعقوب " على خاله - " لابان " - أرض " حران " إذا له ابنتان ، اسم الكبرى " ليا " واسم الصغرى " راحيل " - وكانت أحسنهما وأجملهما - فطلب زواجهما ، فأجابه إلى ذلك بشرط أن يرعى غنمه سبع سنين .

فلما مضت المدة على خاله " لابان " صنع طعاماً وجمع الناس عليه ، وزف إليه ليلا ابنته الكبرى " ليا " وكانت ضعيفة العينين ، قبيحة المنظر ، فلما أصبح " يعقوب " إذا هى " ليا " ، فقال لخاله : لم غدرت بى ؟ وأنا إنما خطبت إليك " راحيل " ؟ فقال " إنه ليس من سَتْنَا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى ، فإن أحببت أختها فاعمل سبع سنين أخرى وأزوجكها . . ، فعمل سبع سنين ، وأدخلها عليه مع أختها . . ! ^(٣) .

(١) وكان ذلك ابتداء نبوته - عليه السلام - .

(٢) هو موضع بيت المقدس اليوم نقلاً عن " التوراة " .

(٣) مما هو جدير بالملاحظة والتأمل نفْسُ الغدر والحيلة الذى تسرده التوراة القصص ، عن الأنبياء وزوجاتهم . . . وكأنهما خلّتان حميدتان أو صفتان كريمتان . . . مَبْعُثُهُمَا الذكاء والدهاء . . !

ووهب "لابان" لكل واحدة من ابنتيه جارية ، فوهب لـ "ليا" جارية
 إسمها "زلفى" ووهب لـ "راحيل" جارية اسمها "بلهى" .
 وجبر الله تعالى "ليا" بأن وهب لها أولاداً ، فكان أول من ولدت لـ
 "يعقوب" : "روبين" ثم "شمعون" ثم "لاوى" ثم "يهوذا" ؛
 فغارت عند ذلك "راحيل" - وكانت لا تحبل - فوهبت لـ "يعقوب"
 جاريته "بلهى" فوطئها . . فحملت ، وولدت له غلاماً سمته "دان"
 وحملت غلاماً آخر سمته "نيفتالى" فعمدت عند ذلك "ليا" فوهبت
 "زلفى" لـ "يعقوب" فولدت له : "جاد" و "أشير" غلامين ذكرين ،
 ثم حملت "ليا" أيضاً ، فولدت غلاماً خامساً وسمته "إسآخر" ، ثم
 حملت وولدت غلاماً سادساً سمته "زبلون"^(١) . ، ثم حملت وولدت
 بنتاً سمته "دينا" ، فصار لها سبعة من "يعقوب" .
 ثم دعت الله تعالى "راحيل" وسألته أن يهب لها غلاماً من
 "يعقوب" ، فسمع الله نداءها وأجاب دعائها ، فحملت من نبي الله
 "يعقوب" فولدت غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمته "يوسف"
 كل هذا وهم مقيمون بأرض "حاران" ، و "يعقوب" يرعى على خاله
 غنمه بعد دخوله على البنتين ، ست سنين أخرى ، فصار - مدة مقامه
 عشرين سنة .

فطلب "يعقوب" من خاله "لابان" أن يسرحه ليسير إلى أهله ، فقال
 له خاله : "إنى قد بورك لى بسببك فسلنى من مالى ما شئت . . ،
 فقال : تعطينى كل حمل يولد من غنمك هذه السنة أبقع . . ، وكل

(١) فى مدينة "صيدا" عاصمة جنوب لبنان مقامين يعرفان بـ "النبي شمعون" و "النبي صيدون"
 اعتنى الإسرائيليون بالأخير منهما عند اجتياحهم لـ "لبنان" عام (١٩٨٢) فأعادوا بناء وجددوه
 وكسوه ، اعتقاداً منهم بأنه "زبلون" أحد أبناء "يعقوب" - عليه السلام - .

حمل ملمّع أبيض بسواد ، وكل أملح ببياض ، وكل أجلح أبيض من المعز . . .

فقال : نعم . . . !

فعمد بنوه فأبرزوا من غنم أبيهم ما كان على هذه الصفات من التيوس - لئلا يولد شيء من الحملان على هذه الصفات . . . ، وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غنم أبيهم .

فعمد "يعقوب" إلى قضبان رطبة من لوز ولب . . . ، فكان يقشرها بلقا ، وينصبها فى مساقى الغنم من المياه ، لتنظر إليها الغنم فتفرع وتتحرك أولادها فى بطونها ، فتصير ألوان حملانها كذلك .

فصار لـ "يعقوب" أغنام كثيرة . . . ! ودواب . . . وعبيد . . . ، وتغير له وجه خاله وبنيه ، وكأنهم انحصروا منه !

وأوحى الله تعالى - إلى "يعقوب" أن يرجع إلى بلاد أبيه وقومه ، ووعد به بأن يكون معه ، فعرض ذلك على أهله فأجابوه بمادرين إلى طاعته ، فتحمل بأهله ورجاله ، وسرقت "راحيل" أصنام أبيها فلما جاوزوا وتحيزوا عن بلادهم لحقهم "لابان" ، وقومه ، فلما اجتمع "لابان" ، بـ "يعقوب" عاتبه فى خروجه بغير علمه . . . ! وهلاً أعلمه فيخرجهم فى فرح ومزاهر وطبول ، وحتى يودع بناته وأولادهن ، وكلم أخذوا أصنامهم معهم ؟ ولم يكن عند "يعقوب" علم من أصنامهم ؟ . . . فأنكر أن يكونوا أخذوا له أصناماً ، فدخل بيوت بناته وإمائهن يفتش فلم يجد شيئاً .

وكانت "راحيل" قد جعلت الأصنام فى بردعة الجمل وهي تحتها فلم تقم واعتذرت بأنها طامث . . . (وقيل بل جعلتها عمته فى حزام على بطن "يوسف" وهو صغير ليكون فى حضانتها . . .) وهذا أصوب لأنه تمشى مع قول الله تعالى فى سورة يوسف ﴿قَالُوا إِنْ

يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي
نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴿يوسف : ٧٧﴾ (١.هـ).

ومضى "يعقوب" - عليه السلام - بعد أن تعاهد وتواثق مع خاله
"لابان" - إلى "فلسطين" راجياً من الله تعالى أن يكف عنه شر أخيه
"العيس" الذي خرج ليمنعه . ١

وقدّم بين يديه هدايا لأخيه "العيس" ، ففعلت فعلها ، فلما التقيا
خضع له "يعقوب" وتذلل ، فقبل منه "العيس" وسامحه ، وتقدم
أمامه حتى نزل "يعقوب" قبل "بيت المقدس" وابتنى مذبحاً - معبداً -
سمّاه "إيل" .

"ثم حملت" راحيل " . . ، فلما كان أوان الوضع جهدت في طلقها
جهداً شديداً ، ماتت عقبه ، وقد وضعت غلاماً هو "بنيامين"
أخا "يوسف" لأمّه وهو أصغر أبناء "يعقوب" - عليه السلام - ،
فدفنها "يعقوب" في "أفراة" - بيت لحم - ، وجعل على قبرها كوماً
من الحجار وتعرف اليوم بقبر "راحيل" - أوقبة "راحيل" - وانتقل
"يعقوب" إلى "حبرون" حيث يقيم والده "إسحاق" - عليه السلام - ،
ثم مرض "إسحاق" وتوفاه الله تعالى إليه ، فدفنه إبناه "يعقوب"
و "العيس" في نفس المغارة التي دفن فيها من قبل "إبراهيم"
و "سارة" .

زوجة "يوسف" - عليه السلام - ؟؟

- ❖ من هي؟
- ❖ ومتى تزوج؟
- ❖ وكم ولد له؟
- ❖ ومن هم ذريته؟

أسئلة اعترضتني أثناء التحقيق والبحث . . ، حتى وقفتُ عند إسم زوجة "أيوب" - عليه السلام - وقد اختلف كتاب السير فيها فقالوا: ^(١) "ليا" ، بنت "يعقوب" أو "رحمة" بنت "أفرايم" أو "ليا" بنت "منشا" ^(١) . ابن "يوسف" ابن "يعقوب" ؛ ورجح "ابن كثير" - رحمه الله - الإسم الثالث لأنه أشهر .

إذاً . . . تزوج "يوسف" - عليه السلام - . . ولكن بعد خلاصه من محنة السجن ، والتمكين له في السلطان . . ! وقصته - عليه السلام - أشهر من أن نكرر الحديث عن تفاصيلها وأدوارها ، ولكننا نستخلص منها الدروس والعبر التالية :

(١) أو "منشأ" هو إسم شائع عند اليهود . . وهو أخو "أفرايم" - ولدى "يوسف"

١- نشأته على رفيع الأخلاق وسامى الصفات ، والصدق مع الله تعالى .

٢- كفه النفس عن شهواتها ومغرياتها .

٣- الإيمان بالمبدأ مهما كانت الصعاب .

٤- الالتجاء إلى الله تعالى فى الملهمات .

٥- إيثاره البراءة على الحرية الممنوحة .

٦- خلق الصبر الذى لَفَّهُ طوال حياته كلها من أذى إخوته له . . إلى

الحب الذى ألقى فيه . . . ، إلى الخدمة عبداً فى بيت العزيز . . ،

إلى مراودة امرأة العزيز له ثم تماسكه وإبائه . . ، إلى ظلمة السجن

ظلماً . . ، إلى تحمل مسؤولية السلطة بقوة وأمانة ! ﴿ أَنَّهُ مَن يَتَّقْ

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف :

٩٠) .

وغيرها كثير . . ! والذى زوّج "يوسف" - عليه السلام - هو

الملك . . !

قالوا : (وكان "يوسف" إذ ذاك ابن ثلاثين سنة ، وزوجه (الملك)

(امرأة عظيمة الشأن وحكى "الثعلبى" : أن الملك عزل "قطفير" -

العزيز - عن وظيفته وولاهها "يوسف" .

وقيل : إنه لما مات "قطفير" زوجه (الملك) امرأته "زليخا" ^(١) . ،

فوجدتها عذراء - لأن زوجها كان لا يأتى النساء ، فولدت لـ "يوسف" -

عليه السلام - رجلين هما "أفرايم" و "منشا" .

(١) التى راودته فى بيتها ، وهذا إسمها على أشهر الروايات (يرجى مراجعة كتابنا (يوسف وامرأة

العزيز) نشر (مكتبة القرآن) .

”ليا” زوجة ”أيوب” - عليه السلام -

❖ ”أيوب” والصبر عليه صنوان متلازمان ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٤) وكما كان الصبر على البلاء امتحاناً له ومحنة ، كان كذلك لزوجته . . !

❖ حين نفر عنه الناس - بل أقربهم إليه بعد ابتلائه - أحتملت زوجته البلاء وحدها ! صابرة محتسبة ، مكابدة صديقة ، بارّة راشدة !

❖ سواء كانت هذه الزوجة الصابرة : ”ليا بنت يعقوب” أو ”رحمة بنت أفرايم” أو ”ليا بنت منشا بن يوسف” - على اختلاف الأسماء - فهي ذرية وسلالة أنبياء الله - عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام .

روى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : (إن من أشد الناس ابتلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل) ^(١) أما سيدنا ”أيوب” - عليه السلام - فقد

(١) حديث صحيح رواه ”البخارى” و ”أحمد” .

قيل فى نسبه أنه : " أيوب بن موص بن وعويل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم " وقيل غير ذلك مع اتصال النسب بـ " إبراهيم " - عليه السلام - .
قال ابن كثير " - رحمه الله - :

(قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم : كان "أيوب" رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشى ، والأراضي المتسعة ، بأرض الثنية من أرض "حوران")
وأرض "حوران" - غير "حران" - تقع فى الطرف الجنوبى من "سورية" على الحدود مع "الأردن" ؛ وتعتبر من أجود الأراضي السورية إنتاجاً للحبوب ، خصوصاً القمح .

وقال ابن كثير :

(وحكى "ابن عساكر" : إنها - أى حوران - كلها كانت له ، وكان له أولاد وأهلون كثير ، فسلب منه ذلك جميعه ، وابتلى فى جسده بأنواع من البلاء ، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه ، يذكر الله عز وجل ، وهو فى ذلك كله صابر محتسب ، ذاكر لله عز وجل فى ليله ونهاره ، وصباحه ومساءه) إ.هـ .

لقد ابتلى بالغنى وكثرة المال واتساع الثروة فكان شاكراً . . . !
ثم ابتلى بالفقر والمرض فكان صابراً . . . ! والصابر والشاكر كلاهما فى الجنة ، ولقد ظهرت الزوجة فى كلتا الحالتين : الشكر والصبر ، ظهوراً واضحاً . . . ، فكانت تقدر نعمة الله تعالى على عباده وتعرف حقها ، ثم ابتليت بذهاب تلك النعمة ومرض العشير ، فكانت مثال الزوجة الصالحة .

ويمضى "ابن عساكر" فى الحديث فيقول :

(و طال مرضه حتى عافه الجليس وأوحش منه الأنيس ، وأخرج من بلده وألقى على مزبلة خارجها^(١) .

وانقطع عنه الناس ، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته (" ليا ") كانت ترعى له حقه ، وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها . . ، وكانت تترد عليه فتصلح من شأنه ، وتعينه على قضاء حاجته ، وتقوم بمصلحته ، وضعف حالها ، وقل مالها ، حتى كانت تخدم بالأجر ، لتطعمه وتقوم بأوده - رضى الله عنها وأرضاها - وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد ، وما يختص بها من المصيبة بالزوج ، وضيق ذات اليد ، وخدمة الناس ، بعد السعادة والنعمة ، والخدمة والحرمة) .

ويقول " ابن كثير " :

(وقد روي عن " وهب بن منبه " وغيره من علماء " بنى إسرائيل " فى قصة " أيوب " خبر طويل ، فى كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه فى جسده . والله أعلم بصحته) .

ولقد اختلف الرواة والمؤرخون وكتاب السير فى المدة التى قضاها " أيوب " عليه السلام - مُبْتَلًى . . ، فقليل : ثلاثة سنين ، وقيل سبع . . ، وقيل ثمانى عشر . . !

ويحكى لنا " السدى " ظروف معاشة زوجة " أيوب " له فى بلواه فيقول : (تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب . . . فكانت امرأته تأتية بالرماد تفرشه تحته ، فلما طال عليها قالت : يا " أيوب " لو دعوت ربك لفرج عنك !؟ فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحاً ، فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة ؟

(١) هذ كلام " التوراة " ١١ . .

فجزعت من هذا الكلام . . . ، وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم "أيوب" - عليه السلام - ؛ ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها لعلمهم أنها امرأة "أيوب" خوفاً أن ينالهم من بلائه ، أو تعديهم بمخالطته . . . ، فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعت لبعض الأشراف إحدى ضفيريها بطعام طيب كثير ، فأنت به "أيوب" ، فقال : من أين لك هذا؟ فقالت : خدمت أناساً .

فلما كان الغد لم تجد أحداً . . . فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأنته به ، فأنكر أيضاً ، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين هذا الطعام ؟ فكشفت عن رأسها خمارها ، فلما رأى رأسها مخلوقة قال في دعائه : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٣) ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَبِيدِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٤)

﴿ أَرَكِضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص : ٤٢ - ٤٤)

سمع الله تعالى نداء "أيوب" - عليه السلام - ودعائه ، فأوحى إليه أن يضرب الأرض برجله ، فأنبع له عينا باردة ، وأمره أن يغتسل منها ويشرب . . . ، ففعل . . . وأذهب الله تعالى عنه ما كان به من أذى وألم ، ومرض وسقم ، وأبدله نعمة الصحة والعافية . . . !
وكانت أمراته تعينه على قضاء حاجته فلما ، أبطأت عليه . . . - قبل الدعاء والنداء . . . وعند رؤيته لها وقد باعت ضفيريها . . . - حلف أن

يضر بها مائة سَوَوط جزاء . . ! فلما عادت ، وقد أذهب الله عنه ما كان به . . . ، لم تعرفه . . . ، أو تغير لها . . . ، أو شكَّت . . ! ، فقالت فى دهشة : أى بارك الله فىك . . ، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى . . فوالله - القدير على ذلك - مارأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً ؟! قال : فإنى أنا هو ؟

ثم إن الله تعالى تكرمه منه لهذه الزوجة الصابرة ، ونبوة " أيوب " - عليه السلام - ، أوحى إليه أن يأخذ ضغثاً - وهو كالعثكال الذى يجمع الشمارخ - ويضربها ضربه واحدة ، وفاءً للقسم ، ورخصة . . ! ﴿ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص : ٤٤) وكما عوضه الله تعالى عن المرض عافيةً ، كذلك عوضه عن الفقر والحاجة غني . . . وزاده ! كذلك عوضه الولد من البنين والبنات ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٤) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَىٰ لِلْأُولَىٰ ﴾ (ص : ٤٣)

وروى الإمام أحمد عن " أبى هريرة " - رضى الله عنه - قال : أرسل على " أيوب " رجلاً من جراد من ذهب ، فجعل يقبضها فى ثوبه . . ، فقيل : يا " أيوب " ألم يكفك ما أعطيناك ؟ قال " أى رب ومن يستغنى عن فضلك !! ^(١) روى " ابن حبان " :

(١) وكذلك رواه " البخارى " و " النسائى " والرجل : السرب .

(كان له أندران^(١) ، أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث الله سحابتين ؛
فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض ،
وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض) .
ومما يقال في ذكر ولده : " أن ذاك الكفل " الذي جاء ذكره في القرآن :
﴿وَأَسْمِعْ عَيْلَ وَأَدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ
وَأَدْخَلْنَاهُمْ ﴿٨٥﴾ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾
(الأنبياء : ٨٥ - ٨٦) ، هو " بشر بن أيوب " . ؛ ورث النبوة بعد أبيه وقام
بمهامها وأعبائها .

(١) الأندر : البيدر بلغة أهل الشام ، والجرن بلغة أهل مصر .

”صفورا“ (١)

❖ زوجة "موسى" - عليه السلام -

❖ وإحدى ابنتى شيخ "مدين" . . !

❖ هكذا سمّتها كتب أهل الكتاب .

"موسى" عليه السلام - هو "ابن عمران بن ماهن بن عازر بن لاوى ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" - عليهم السلام -^(٢) ، ذكره الله تعالى فى مواضع كثيرة متفرقة فى القرآن الكريم ، وذكر قصته فى مواضع متعددة مبسطة ، مطولة وغير مطولة؛^(٣) . والذى يقتضينا الحديث عنه بصدد البحث عن (زوجات الأنبياء) - عليهم السلام - اجتزاء الواقعة ، فولادته - عليه السلام - ونشأته فى بيت "فرعون" أشهر من أن نكرر القول فيها .

ونكتفى بالآيات البينات . . !

(١) لا نثبت الإسم ولا ننفيه ، فليس فى الأثر الشريف ، ولا فى مرويات المؤرخين وعلماء النسب ما يشير إلى ذلك .

(٢) "عمران" والد "موسى" هو غير "عمران" والد "مريم" أم "عيسى" عليهما السلام - وهذا واضح وجلّى .

(٣) تكرر ذكر اسمه - عليه السلام - فى القرآن الكريم مائة وست وثلاثين مرة (١٣٦) .

يقول تعالى : ﴿ طَسَمَ ۝ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ ٢ ۝ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ ٣ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْطَفِينَ ۝ ٤ ۝ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ ٥ ۝ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ٦ ۝ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَكِيدًا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ ٧ ۝ ﴾ (القصص: ١-٦)

ويقول عز وجل : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ۝ ٧ ۝ فَالْتَقِطْهُ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝ ٨ ۝ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ٩ ۝ ﴾ (القصص: ٧-٩)

يقول سبحانه : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ١٠ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ١١ ۝ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ۝ ١٢ ۝ ﴾ (القصص: ١٠-١٢)

وَلَا تَحْزَنْ وَلِتَعْلَمِ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (القصص: ١٠-١٣)

وقال جل شأنه : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص: ١٤-١٧)

ثم يقول تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ فَلَمَّا ۖ ﴿١٨﴾ أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَّىٰ ابْنَ الْاِمْلَاءِ يَأْتَمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ١٨-٢١).

وهنا نبلغ الغاية فنصل إلى بيت القصيد . . !

خرج "موسى" - عليه السلام - من مصر خائفاً يترقب . . ، يتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون . . . ، وهو لا يدرى أين يتوجه

.. ولا إلى أين يذهب .. ، فلما سلك تلقاء مدين . دعا فقال : ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (القصص : ٢٢) . لعلَّ وعسى أن تكون هذه الطريق موصلة إلى المقصود .

وبين "مصر" و"مدين" آماذ وأبعاد ، ومسافات شاسعة ، فـ "مدين" تقع حول خليج "العقبة" ، عند نهايته الشمالية ، وشمال الحجاز وجنوب "فلسطين" .. !

روى "الطبري" في تاريخه عن "سعيد بن جبر" - رضى الله عنه - أنه قال : (ما بين "مصر" و"مدين" ، ثمانى ليال) - أى لراكب الإبل . ، فما بالك بـ "موسى" - عليه السلام - وقد قصد لها ماشياً على قدميه ، لم يتزود للطريق ، ولم يعد للسفر عدته ، متوكلاً على الله تعالى . . ، ولم يكن فى قافلة أو رفقة . . ، ولم يكن له طعام سوى ورق الشجر ، فعن "ابن عباس" - رضى الله عنهما - قال : (إن "موسى" - عليه السلام - ورد ماء "مدين" وإن خضرة البقل لتراءى من بطنه من الهزال) وأنه - عليه السلام - (خرج حافياً ، فما وصل إلى "مدين" حتى وقع خف قدمه) أى : أن الجلدة الملاصقة للأرض من قدمه قد أضر بها السير الحثيث المتواصل حتى سقطت .. !

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص : ٢٣)

فكان أول وصوله - عليه السلام - إلى أرض "مدين" إلى مائها ؛ وكانت بئراً يسقون منها ، فرأى الناس - الرعاء - يتزاحمون على البئر ، يشربون ، ويسقون ماشيتهم . . ، ورأى امرأتين - فتاتين - تقفان بعيداً تكفكفان غنمهما أن تختلط بغنم الناس ، فسألتهما عن شأنهما وحالهما ، وقد آذاه

وقد آذاه تزاحم الناس ووقوف هاتين الفتاتين بمعزل . . ، فأخبرتهما بأنهما لا تجرؤان على ورود الماء حتى يفرغ الرعاء ، وأنهما بنتين لرجل شيخ . . . قد طعن فى السن . . فلا يقوى على مزوالة عمل ، فهما تقومان مقامه . . !

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ (القصص: ٢٤) . . !

يقول المفسرون : (كان الرعاء إذا فرغوا من وردهم ، وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة (غطاءً) فتجئ هاتان الفتاتان فتشرعان غنمهما فى فضل أغنام الناس .

فلما كان ذلك اليوم . جاء "موسى" فرفع تلك الصخرة وحده^(١) . . ، ثم استقى لهما وسقى غنمهما ، ثم رد الحجر ، قال أمير المؤمنين "عمر" - رضى الله عنه - : وكان لا يرفعه إلا عشرة وإنما استقى ذنوباً^(٢) واحداً فكفاهما) إ. هـ .

﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤) . بعد أن فرغ من مساعدة الفتاتين استراح - عليه السلام - فى ظل شجرة ، ودعا ربه !

عادت الفتاتان إلى أبيهما - فاستهجن رجوعهما مبكرتين على غير عادتهما واستفسرهما ، فحدثتهما بأمر الفتى الغريب ، وما كان من شأنه معهما ، فأرسل إليه يستدعيه مع إحدى البنيتين^(٣) .

﴿فَجَاءَتْهُ أَحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص: ٢٥)

(١) كان "موسى" - عليه السلام - قوى البدن والساعد ، ولا ننسى قول الله تعالى ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أى ضربه بجمع يده ضربة واحدة كان فيها القضاء عليه .

(٢) الذنوب: الدلو الملائى ماء .

(٣) لعلها هى التى كانت زوجته فيما بعد ، ولعلها الكبرى .

جاءته ثمشى بخفر وحياء . . . مشى الحرائر، وكانت عودتها سريعة
فما يزال "موسى" - عليه السلام - جالسا في ظل الشجرة التي تركته
عندها، إذ لا مأوى له ولا مقام، فقالت له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ
لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها . . . ، ليس رغبة في
الجزاء . . . ، ولكن - عليه السلام - كان في غاية الجوع ، والتعب والنصب
من طول المسير ، فأراد الشبع والراحة ، وأيضا التعرف إلى الشيخ ، شيخ
"مدين" . . . ! فلما جاءه قص عليه القصص وروى له فصول حياته
وسبب خروجه من "مصر" . . . ، وكان الشيخ من قوم "شعيب" ^(١) -
عليه السلام - ، قد أوتي فهما وعلماً ، فقال له "موسى" ﴿قَالَ لَا
تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٥) .
ثم أطعمه وسقاه وأكرم مثواه ؛ وأضافه .

وكانت الفتاتان تستمعان إلى حديث "موسى" - عليه السلام - وقد
أعجبتا بشخصيته القوية وأمانته؛ فقالت كبراهما - "صفورا" ^(٢) .
لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦) . وكان الحديث بمعزل عن "موسى" فقال
الشيخ لابنته : وما علمك بهذا ؟ بقوته وأمانته - فقالت : إنه رفع صخرة
لا يطبق رفعها إلا عشرة . . . ، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه ، فقال :
كوني ورائي ، فإذا اختلف الطريق فأقذفى بحصاة أعلم بها كيف
الطريق . . . !!

وأدرك شيخ "مدين" إعجاب ابنته بـ "موسى" - عليه السلام - ، كما
أنه كان بحاجة إلى رجل يُعينه في عمله ، ويحمل عنه المسؤولية .

(١) من قال بأنه هو "شعيب" فقد أبعد النجعة لتطاول الزمن ؛ وقيل بأنه ابن عم "شعيب" والله
أعلم .

(٢) نذكر اسمها تمشياً مع المشهور .

فَبَيَّتَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، ثُمَّ عَرَضَ عَلَى "مُوسَى" - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَزُوجَهُ بِابْنَتِهِ وَيَكُونَ مَهْرُهَا عَمَلُهُ عِنْدَهُ : ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْحَلَ أَحَدَ ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص : ٢٧) .

تخدمنى ثمانى سنين ، فإن تطوعت بعشر فيكون ذلك من عندك كرما وحسن معاشرة ، علما بأنى لا أريد أن أرهقك . . ، ولسوف تجدنى إن شاء الله تعالى - حسن السيرة بك ومعك .

فأجابه "موسى" - عليه السلام - بالقبول والرضى ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (القصص : ٢٨) .

وتزوج "موسى" - عليه السلام - ، وأقام فى "مدين" يؤدى علمه على أتم ما يكون ، ولقد سئل سيدنا رسول الله ﷺ عن زواج "موسى" - عليه السلام - فأجاب (إن "موسى" - عليه السلام - آجر نفسه ثمانى سنين أو عشرة - على عفة فرجه وطعام بطنه) (١) .

كما قال رسول الله ﷺ عن الأجلين : (سألت "جبريل" أى الأجلين قضى "موسى" ؟ قال : أتمهما واكملهما) (٢) . روى عن "ابن عباس" - رضى الله عنهما - وخلال السنوات العشر ولدت الزوجة لـ "موسى" - عليه السلام - غلامين . . !

فلما أتم مدة العمل القصوى ، استأذن الشيخ بالمغادرة . . فأذن له ، ثم طلب من زوجته أن يمنحها أبوها من غنمه ما يعيشون به ، فأعطاهما ما ولد من غنمه فى تلك السنة .

(١) رواه "ابن ماجه" .

(٢) أى عشر سنين .

ويروى أن "موسى" - عليه السلام - عمد إلى عصا قسمها من طرفها
 فى أدنى الحوض الذى تشرب منه الأغنام ، ثم أورها فسقاها ، ووقف
 بإزاء الحوض يضرب بعصاه جوانب الشياه . . . ، فأُتِمت وأُلبِنت
 ووضعت كلها . . . فكثير قطيعه . . . !

ثم خرج بأهله . . . زوجته وولديه . . . ، ويسوق غنمه بعصاه تلك . . . !
 متجهاً إلى "مصر" التى خرج منها خائفاً يترقب ، يبغي العودة إلى أمه
 وقومه من "بنى إسرائيل" .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ
 جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
 لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ
 تَصْطَلُونَ ۚ فَلَمَّا ۞ أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ
 الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرِ قَالَ يُمُوسَىٰ إِنِّي
 أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۚ وَأَن ۞ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا
 تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا لَّمْ يَعْقِبْ يُمُوسَىٰ أَقْبَلْ وَلَا
 تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ۚ ۞ أَسَلَكَ يَدُكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ
 بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
 فَذَكَ بِرَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
 قَوْمًا فُلْسِقِينَ ۚ﴾ (القصص : ٢٩ - ٣٢)

حتى تلك الساعة فى حياة سيدنا "موسى" - عليه السلام - كان فى حفظ
 الله تعالى له ، يُقدَّرُ له أمره ونشأته ويصنعه على عينه . . . ، ليعثه فى حينها
 نبياً ورسولاً ! توسط "موسى" - عليه السلام - بأهله وولديه وغنمه برية
 "سيناء" . . . ! فلما جن عليهم الليل فى وادى "طوى" كان الظلام دامساً
 حالكاً ، والجو شديد البرودة قارساً . . . ، فتلبَّث "موسى" لا يدرى كيف
 يفعل . . . ؟

فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد ناراً تأجج في جانب جبل الطور ، فطلب من أهله أن يمشوا في مكانهم ريثما يأتي تلك النار فيأتيهم منها بجذوة أو قيس ليستدفئوا . . ، أو يجد أحداً من الناس عندها يساعده ، أو يدلّه على الطريق . . !

يقول الإمام " ابن كثير " - رحمه الله - (كأنه - والله أعلم - رآها دونهم ، لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ، ولا تصلح رؤيتها لكل أحد . .)
إ.هـ.

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَّى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخِزْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ (طه : ١١-١٦)

ولما بلغ " موسى - عليه السلام - موضع تلك النار وجدها تتأجج في شجرة خضراء من " العوسج " ^(١) ، وكل ما لتلك النار في اضطرام ، وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد ، فوقف متعجباً !! ثم سمع صوتاً آتياً من تلك الشجرة المنيرة يناديه ويعلنه أنه الله تعالى - جلت قدرته ومشئته - ويأمره بخلع نعليه ^(٢) تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة - ولا سيما في تلك الليلة المباركة !! .

(١) العوسج : شجر صحراوي ، كثير الشوك ، له زهر أبيض - وقيل عن الشجرة بأنها من " العليق " وهو شجيرات كثيرة الشوك ولها ثمر يشبه الثوت الشامي طعماً وشكلاً .

(٢) لا نجد في طقوس العبادة (الصلاة) - إلا المسلمين - يخلعون النعال عند الأداء - اللهم إلا لعذر .

ليلة تكليم الله تعالى لـ "موسى" - عليه السلام - وإيدانه بالنبوة والرسالة ! .

ويخبره أنه رب العالمين الذى لا إله إلا هو ، والذى لا تصح العبادة وإقامة الصلاة إلا له ، وأن هذه الدنيا ليست بدا رقرار ، وإنما الدار الباقية يوم القيامة التى لا بد من كونها ووجودها لتجزى كل نفس بما تسعى من خير أو شر ، وحضه على العمل لها ، ومجانبة من لا يؤمن بها ، ممن عصى مولاه واتبع هواه ! . .

أخذ "موسى" - عليه السلام - بما سمع ورأى . . ؛ فوقف مشدوهاً مدهوشاً لا يتحرك . . ! فجاءه النداء ثانية مؤانسا مسرياً يقول : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَّى ﴾ (طه : ١٧) ؟! ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ (طه : ١٨) زاد فى الجواب عن السؤال ، وقد ارتاحت نفسه

بعض الشيء . . ! ثم جاء الأمر من الله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقَهَا يَا مَوْسَى فَالْقَلْبَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (طه : ١٩ - ٢٠) هاله المنظر فولى عنها هارباً ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا وَلَمْ يُعْقِبْ ﴾ (القصص : ٣١) إرتد هارباً - عليه السلام - لأن طبيعته البشرية تقتضى ذلك ، ولم يلتفت . . ، فناداه الله تعالى : ﴿ يَمْوَسَّى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِينَ ﴾ (القصص : ٣١) ، فأطمأن ورجع . . ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (طه : ٢١) ، فوضع يده فى كم مدرعته ، ثم وضع يده فى وسط فمها ، فلما فعل ذلك عادت كما كانت عصاً ذات شعبتين ! . .

ثم ناداه ﴿ أَسَلِّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ

رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿٣٢﴾
(القصص: ٣٢)

وأدخل "موسى" - عليه السلام - يده فى جيبه - وهى فتحة القميص عند العنق - ثم أخرجها . . - فإذا هى بيضاء تشع نوراً وبهاءً ، من غير برص ولا بهق ^(١) .

كما أرشده - سبحانه وتعالى - أن يضع يده على فؤاده إذا شعر بخوف فيسكن جأشه ! .

وعاد "موسى" - عليه السلام - إلى أهله وقد اضطلع بمسؤولية النبوة وأمانة الرسالة ، وليواجه من بعد أعنى الجبابة فى حينه "فرعون" وملاؤه . . ، ويجدد الإيمان فى قومه "بنى إسرائيل" ، ثم يخرج بهم من "مصر" إلى الأرض المقدسة .

كانت زوجته "صفورا" أول من آمن به وصدقته ، ولقد كانت تعرف من قبل معالم تلك الشخصية الفذة التى صنعها الله تعالى على عينه ، فاتبعته . . وكانت نعم الزوجة الصالحة للنبي المرسل "موسى" - عليه السلام - .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾
﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ
رَدًّا يُبَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنْشِئُ
عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ
إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾
(القصص: ٣٣-٣٥)

(١) البرص والبهق : دائن جلددين غير معديين ، وهما عبارة عن بقع بيضاء تصيب الجلد .

وكان "موسى" - عليه السلام - لا يتقن اللغة العبرية ^(١) فسأل الله تعالى أن يرسل معه أخاه "هارون" ليكون له وزيراً وعضداً وسنداً ، فاستجاب له . . ، ، أعلمه بذلك . . وأنبأه بغلبته على "فرعون" وملئه ، مهما اشتدت الظروف وتكاثرت الشدائد ، أو تضافرت قوى الشر والبغى والطغيان . . !

تابع "موسى" - عليه السلام - رحلة العودة إلى "مصر" . . ، حتى إذا بلغها كان أول ما فعله زيارة أمه ولقاءه بأخيه "هارون" ، ومن ثم اتسقت جهودهما على مواجهة "فرعون" وإنذاره ، بالقول اللين والمنطق الواضح اللطيف ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه : ٤٤)

وبدأ الصراع بين الحق والباطل . . ! وطال زمناً ، وآمتد سنين عدداً . . !

"موسى" و "هارون" - عليهما السلام - لا يفتران عن المتابعة فى الدعوة ، و "فرعون" يكابر ويعاند ، يدعوانه إلى الله تعالى ، وهو يزداد تكبراً وعلواً وطغياناً ، وينكر الخالق سبحانه ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرِي﴾ (القصص : ٣٨) ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات : ٢٣-٢٤) .

كثرت اللقاءات ، والحوارات وما زال "موسى" و "هارون" - عليهما السلام - يأخذان "فرعون" بالقول اللين . . ، حتى إذا أخذته العِزَّة بالإثم أنذر وتوعد وهدد فقال - "موسى" ﴿قَالَ لِنِ اتَّخَذَتِ الْهَآ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ

(١) وقيل إنه فى صغره قد أودى فى لسانه ؛ والقصة مشهورة

بَشَىءٌ مُّبِينٌ ﴿٣١﴾ قَالَ فَاتِّبِعْهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿الشعراء: ٢٩-٣١﴾

هنا كان لابد من البرهان . . . والمعجزة . . . والآية وإخراص اللسان الذى افترى على الله الكذب ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴿الشعراء: ٣٢-٣٣﴾ (كان السحر ^(١) هو العنصر الغالب على عقول الناس وأفهامهم ، وبه يؤخذون . . . ، وعليه يعولون . . . ، وبه بارعون ، فلما رأى " فرعون " ما فعله " موسى " - عليه السلام - . . . وقال :

أَحْجَتُنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ (طه: ٥٧-٥٩) .
وتتابع المشاهد . . .

إذ استقدم " فرعون " سحرته من كل مكان فى البلاد ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ قَالُوا ﴿٦٢﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿طه: ٦٠-٦٣﴾

ثم ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ أَمِّيًا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِنَّا نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ﴿٦٤﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ

(١) السحر: كل ما لطف مأخذة ودق ، وهو : خداع النظر .

الِيَّهِ مِنْ سَحَرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ (طه: ٦٥-٦٩)

وأين السحر من المعجزة...؟!

لقد بطل ما كانوا يفترون... ﴿٦٩﴾ «فَعَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاحِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٦٥﴾ (الأعراف: ١١٩-١٢٢)

كشف الله عن قلبهم غشاوة الغفلة ، وأنارها بما خلق فيها من الهدى ، وأزاح عنها الغشاوة ، وأنابوا إلى ربهم وخرّوا له ساجدين !

وتلك كانت بداية النهاية لسلطان " فرعون " . . . !

واستمرت المعجزة (العصا) فى يد "موسى" - عليه السلام - تؤدى دورها ، وما أعظمه من دور !!! لقد خرج بقومه " بنى إسرائيل " من " مصر " مشرقين . . ، فتبعهم " فرعون " بجنوده وحشوده يريد أن يدركهم فيفتك بهم . . !

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْقَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦١﴾﴾ (الشعراء: ٦١-٦٨)

واجه "موسى" - عليه السلام - ومن معه البحر فقال الناس : إنا لمدركون ، فالغرق فى اليم من أمامنا ، والعدو من ورائنا وإنها النهاية

... قال "موسى" - عليه السلام - ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ وأوحى إليه أن يضرب البحر بالعصا! ففعل... ، فأنفلق الماء وافترق فرقين... ، جبلين من الماء الجامد بينهما طريق يبس... ، فسكله "موسى" - عليه السلام - ومن معه حتى اجتازوه... ، وتبعهم "فرعون" بجنوده فلما توسطوه أطبق عليهم الماء من كل جانب ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (طه: ٧٨) ، وغرقوا أجمعين .
(إن الفصول فى قصة سيدنا "موسى" - عليه السلام - كثيرة ومتعددة وطويلة ، ولها خاصيتها التى يفرد لها الحديث ، وإنما نحن بصدد الكلام عن زوجته "صفورا" بنت شيخ "مدين" ... ، التى رافقته فى تلك الأدوار منذ زواجه بها ، إلى إقامته عند أبيها ، ثم رحيلها معه إلى "مصر" ، وتلقيه الوحي وكلام الله تعالى له فى برية "سيناء" عند جبل "الطور" فى وادى "طوى" ... !

لقد كانت أول من آمن به وصدقته وواكبت معه الأحداث ، ولم يزد دورها عن ذلك ، إذ لم تشر كتب المؤرخين إليها لا من قريب ولا من بعيد ، حتى ولا كتب أهل الكتاب ... !

ولا ندرى أيضاً متى كانت وفاتها وهل كانت قبل وفاة "موسى" - عليه السلام - أم بعده ؟ مع أهمية الوقائع والأحداث التى رافقت وجود "بنى إسرائيل فى أرض "سيناء" على مدى عقود من السنين . فترك ذلك إلى علم الله تعالى وحده)

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقِي مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠)

بعد نجاة "بنى إسرائيل من بطش "فرعون" واجتيازهم البحر ،
ونزولهم فى برية سيناء . . . ، كانوا بحاجة إلى الماء . . . ، يشربون ويسقون
ماشيتهم . . . ، وإلا هلكوا !!! فأوحى الله تعالى إلى عبده ونبيه "موسى" -
عليه السلام - أن يضرب بعصاه الحجر (صخرة من الصخور) فتشققت
وانفجرت وتدفق منها الماء من اثنتى عشرة عيناً . . . ! بعدد الأسباط ^(١) ،
فعلم كل سبط من "بنى إسرائيل" ، مشربه ومن أين يستقى . كل ذلك
برحمة من الله تعالى وفضل . . . وهم يشهدون!!!!

وهنا يشد انتباهنا ، عقولنا وأفئدتنا ، التفاوت فى المضروب . . . بين
البحر والصخر . . . ؟!!

البحر يجمد . . . ! والصَّخْرُ يتفجر ويتدفق بالماء . . . ! الماء الغزير
العذب . . . !

وأيضاً : العدد . . . !

فالله تعالى الذى قدَّر فى كل مخلوق موجود خاصيته هو وحده الذى
يعطل تلك الخاصية ، أن يحولها - بأية منه - سبحانه - ، ولقد كانت العصا
تلك الآية . ومن عجب أن "بنى إسرائيل" الذين عاينوا ذلك ، ورأوا
الآيات بأبصارهم ظلت بصائرهم فى نجوة عن الحق ؛ لقد زاغوا فأزاغ الله
تعالى قلوبهم ، ووقعوا فى الفتن يردف بعضها بعضاً . . . !

طلبوا استبدال المن والسلوى ^(٢) بالقثاء والثوم والعدس والبصل . . . ،
متعللين بأنهم لن يصبروا على طعام واحد . . . !

طلبوا رؤية الله تعالى جهرة . . . !!!

(١) السبط : ولد الولد ، وأسباط "بنى إسرائيل" هم ذرية "يعقوب" - عليه السلام - من أولاده
الاثنتى عشر وهم : "روبين" و "شمعون" و "لاوى" و "يهوذا" و "إسّاخر" و "زبلون"
و "يوسف" و "بنيامين" و "دان" و "نغالى" و "جاد" و "أشير" .

(٢) المن : سائل أبيض حلو يتساقط من السماء على ورق الأشجار ، والسلوى : طائر السمان .

اتخذوا العجل إلهاً لهم حين غاب عنهم "موسى" - عليه السلام -
لميقات ربه

رواغوا في ذبح البقرة . . . كما أوحى الله تعالى إلى "موسى" - عليه السلام - ، ليتبينوا الحقيقة . . . ، ويكتشفوا سر القتل والقتل ، . . . ! فالحق أحق أن يتبع !! ولكنهم كانوا قوماً فاسقين .

تباطأوا وجنوا عن بلوغ الأرض المباركة التي خرجوا منها . . . ،
وقالوا لـ "موسى" - عليه السلام - ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٢)

آذوا نبيهم ورسولهم "موسى" - عليه السلام - واتهموه بعيب في جسده . . . ! ولكن الله تعالى برأه ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوُا مُوسَىٰ فَبرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩)

وعندئذ ، وقد يئس "موسى" - عليه السلام - من صلاح قومه ،
نادى فـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥)

واتهموه - أيضاً - بأنه كان السبب في وفاة أخيه "هارون" - عليه السلام - ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بأنه قتله . . . حسداً وغيرة - قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وأدركت الوفاة "موسى" - عليه السلام - ولما يدخل الأرض المقدسة ، فسأل الله تعالى أن يدينه منها بقدر رمية حجر ، ليراها . . . ! فكان ما طلب ؛

ولقد روى " البخارى " فى صحيحه ^(١) عن " أبى هريرة " - رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ " أنه قال : (فلو كنت نَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر) ^(٢) .

(١) كتاب حديث الأنبياء (٣٢٢٦) .

(٢) المشهور أن ذلك فى صحراء الثقب ، وليس هناك من مَعْلَم يدل عليه .

زوجات "داود" - عليه السلام -

- ❖ "ميكال بنت طالوت" ^(١) الزوجة الأولى : إبنة ملك " بنى إسرائيل "
- ❖ أرملة القائد " أوريا " ^(٢) الزوجة الثانية للنبي " داود " - عليه السلام -
- ❖ هنالك زوجة ثالثة . . أغفل ذكر اسمها وقصة زواجه - عليه السلام - منها . . . !
- ❖ أما السرارى فقد قيل إنهن بلغن مائة سرية . . . !! (والله أعلم)
- ينتهى نسب سيدنا " داود " - عليه السلام - إلى " يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم " - عليهم السلام - وهو أول من جمعت له النبوة والملوك فى " بنى إسرائيل " .

(١) عند أهل الكتاب " شاول " وفى القرآن الكريم " طالوت " ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ (البقرة: ٢٤٧)

(٢) لم يذكر لها إسم ، .

خرج "داود" - عليه السلام - وهو غلام فى الثالثة عشرة من عمره
يرعى أغنام أبيه ، ويرقب إخوته الذين خرجوا فى جيش "طالوت" الملك
لقتال عدوهم "جالوت" ^(١) وجنده ... !

فلما تراءى الجمعان ، وظهر للعيان كثرة جند "جالوت" ... قال
أكثر أصحاب "طالوت" :

﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ... لكن ..
..... ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّثَلَّقُوا بِاللَّهِ مِنْ
فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩)

وبرز "جالوت" إلى الميدان يصول ويجول ويدعو إلى القتال ، فما جرؤ
أحد من جند "طالوت" على منازلته وقتاله .

فتقدم "داود" - الغلام - وقال لـ "طالوت" أنا أنازله وأقتله ... ،
فأستقله "طالوت" وسخر منه ... ، فأصر "داود" وألح فى الطلب ،
فسمح له "طالوت" مكرهاً !!

وكان "داود" بحكم عمله فى رعاية الغنم يرمى بالمقلاع ^(٢) ولا يخطئ
إصابة الهدف ، وكان يحمل فى مخلاته القذائف : خمسة أحجار مُلسٍ -
إنتقاها من الوادى الذى كان يرعى فيه ؛

فلما برز لـ "جالوت" هزأ به "جالوت" وقال له : إرجع فإننى أكره
أن أقتلك ... ! فأجابه "داود" : ولكنى أحب أن أقتلك ... !

ثم جعل الأحجار فى المقلاع وأداره فى الهواء بقوة فسمع له صوت
كأنه الريح الصافرة ، ثم أطلقها فأصاب "جالوت" فى جبهته ... ،

(١) ملك الفلسطينيين - كما جاء فى "التوراة" .

(٢) آلة تشبه النبله .

وانفلقت رأسه . . . وسقط قتيلاً ؛ وانهزم جيشه وفر جنده ؛ وانتصرت
القلة المؤمنة على الكثرة المشركة الباغية .

وأراد " طالوت " أن يكرم " داود " فزوجه من ابنته الوحيدة " ميكال "
وقربه منه وأدناه ، وأجرى حكمه في ملكه ، وكانت الفتاة تقيّة صالحة ،
ثم زوجة وفية برة ، فأخلصت لـ " داود " وأحبته ، وعاشت معه في
سعادة وهناء .

عظم أمر " داود " ومال إليه " بنو إسرائيل " فضعفَ سلطان " طالوت "
عليهم وأحس بأن ملكه يكاد يزول فحقد على " داود " وأراد الخلاص
منه ، ودبر لذلك أكثر من مؤامرة . . . !

لكن " ميكال " كانت تقف إلى جانب زوجها " داود " تنبههُ وتحذره ،
وكذلك كان يفعل أخوها " يوناثان " الذي أحب " داود " حباً فائقاً
ولازمه ، وكان معه مثل ظله لا يفارقه .

واضطر " داود " أن يخرج إلى الجبال والوديان ، ويلجأ إلى الكهوف
والمغارات هرباً من بطش " طالوت " . . . ، والتحق به نفر من أصحابه
وأتباعه .

في تلك البيئة الصافية النقية وبعيداً عن تضارب المصالح الدنيوية . . . ،
تعلق قلب " داود " - عليه السلام - بالله تعالى فاتاه النبوة ، وأنزل عليه
المزامير - وسخر له الجبال والطير يسبحن معه ، وآتاه الحكمة وفصل

الخطاب . . . ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنية . . . !
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾
﴿سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾
﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ
وَعَآيَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ (ص: ١٧-٢٠)

فآزداد إقبال " داود " - عليه السلام - على ربه . . . بالطاعة والعبادة . . . !

[كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه (للمصلاة والتسبيح) وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى ^(١)]
وآزداد إكرام الله تعالى له فألان له الحديد ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾
أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴿سَبَأٌ: ١٠-١١﴾ يعمل منه الدروع . . . ، وقد يسره الله تعالى له فكان فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء ولا طرق . . . !

وحاول " طالوت " أكثر من مرة أن يوقع بـ " داود " . . . ، فكان يخرج إليه بجنده وسلطانه حيث يقيم بين الجبال والوديان والكهوف ، ولكنه لم يفلح . . . ، وعلى العكس من ذلك فقد وقع " طالوت " بين يدى " داود " وتيسر له قتله وهو نائم - مرتين - ثم عفا عنه . . . !

ولقد زاد هذ من حسد " طالوت " له وحقده عليه . . . !
وكانت " ميكال " بنت " طالوت " وزوجة " داود " خير ناصحة لزوجها ، وعينا يقظة له ترقب الأحداث والتحركات وتبلغه بها عن طريق أخيها " يونانان "

ولم يطل الأمر . . . ، فقد خرج " طالوت " لقتال الفلسطينيين . . . ، فأوقعوا به وهزموه وقتل فى تلك المعركة . . . ،

وقدر لـ " داود " - عليه السلام - أن يكون له الكرة عليهم ، والانتصار . . . والتفاف الناس حوله ، ثم ملكوه بدلاً من " طالوت " ملكاً على بيت " يهوذا " فى " حبرون " - الخليل - وهذه أول نبوة يجتمع إليها الملك من عهد آدم - عليه السلام - . . . ! ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ

(١) من حديث لرسول ﷺ رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد .

وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ
مِمَّا يَشَاءُ ﴿البقرة: ٢٥١﴾

ولم يقدر لـ "داود" - عليه السلام - أن يكون له ولد من "ميكال
زوجته . . . !

وفى قصة زواج "داود" - عليه السلام - من أرملة القائد "أوريا" ،
فـ "التوراة" تحكى قصة غريبة عجيبة ، وتلفق - وتشوه . . . ! وهذا شأن
"التوراة" مع أكثر أنبياء الله تعالى ،

"التوراة" تتناقض مع نفسها حين تشهد لـ "داود" بالغيرة الشديدة
على أهله والبر والتقوى وطهارة اليد^(١) ثم تتهمه بتدبير حيلة للخلاص من
القائد "أوريا" للوصول إلى زوجته ؛ والغيرة من الشهامة والألفة . . . ،
وتتوج ذلك النبوة . . . ، فكيف تسفل به نفسه إلى الحيلة الدنيئة ؟ !

تقول "التوراة" بأن "داود" - عليه السلام - (نظر وهو يمشى على
سطح داره إلى امرأة تستحم فأعجبته وأغرم بها ، وأتى بها واضطجع معها
فحملت منه وأعلمته ، وكان زوجها "أوريا" الحثي " فى الحرب .
فأتى به ليسأله عن أمر الحرب فى الظاهر ، وليحدث الرجل بامراته
عهداً حتى لا يرتاب بأمرها إذا علم فيما بعد أنها حامل ، ولكن الرجل
كان تعباً جداً ، فنام بباب "داود" ولم يزر امرأته لأنه من عدم التقوى أن
يتمتع بزوجه وإخوانه فى الحرب بعيدون عن أزواجهم .

فلما علم "داود" بأمره ، لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره إلا تعريض
"أوريا" لجهة القتال حاملاً الراية ، وأن يتفرق عنه الجند بعد التقدم ،
وبهذه الوسيلة قتل الرجل ؛ وأتت امرأته بولد فى تلك الزنية . . . ،

(١) سفر "صموئيل" فى الاصحاح الثانى والعشرين وفى غيره من الأسفار .

وتزوجها "داود" ، ثم مرض الولد فحزن "داود" لمرضه حزناً شديداً حتى لا يقدر أحد على تسرية همه ، ثم مات الولد - ومن هذه المرأة كان "سليمان" (!!!) تلکم هي قصة "التوراة" عن زواج "داود" - عليه السلام - بأرملة "أوريا" وولادة "سليمان" - عليه السلام - ابنها .
ويكفي سردها دون التعليق عليها . . !

فقط نريد قولاً واحداً : لم لا يكون زواج "داود" - عليه السلام - من الأرملة الحزين نوعاً من جبر الخاطر . . ، كما كان يفعل صحابة سيدنا رسول الله ﷺ . . !!! والشواهد كثيرة لا حصر لها .

ولدت "داود" "سليمان" - عليهما السلام - . . . وشب وكبر . . !
وكان في فتوته بضعة من أبيه الذي أوتي الحكمة وفصل الخطاب يروون : (أن حرثاً - زرعاً ، أو كرمًا تدلت عناقيده ، نفشت فيه غنم لغير أهله ، أي أكلته ليلاً ، فجاء المتحاكمون إلى "داود" وعنده "سليمان" ، فحكم "داود" بالغنم لصاحب الجرن عوضاً عن حرثه ، الذي اتلفته الغنم ، برعيها إياه ليلاً فقال "سليمان" - وكان ابن إحدى عشر سنة : غير هذا أرفق يا أباي تأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها ، والجرن إلى أهل الغنم يقومون عليه حتى يعود كما كان ، ثم يترادان . . ! ﴿وَدَاوُدَ وَسَلِيمَانَ إِذِ احْكَمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لَحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨-٧٩) .
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء :

وأخذ "داود" برأى "سليمان" - عليهما السلام - وحكمه وأمضاه . . !

ويحدثنا أبوهريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ عن وفاة "داود" - عليه السلام - ، قال ﷺ : (كان "داود" - عليه السلام - فيه غيرة

شديدة، فكان إذا خرج أغلق الأبواب ، فلم يدخل أحد على أهله حتى يرجع .

فخرج ذات يوم وغلقت الدار ، فأقبلت امرأته تطَّلَع إلى الدار ، فإذا رجل وسط الدار ، فقالت لمن فى البيت : من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة ؟ والله لنفضحن بـ " داود " .

فجاء " داود " فإذا الرجل فى وسط الدار ، فقال له " داود " : من أنت ؟ فقال : أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمتنع منى الحجاب ، فقال " داود " : أنت والله إذن ملك الموت . . . مرحباً بأمر الله . . . ثم مكث حتى قبضت روحه ، فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال " سليمان " - عليه السلام - للطير : أظلى على " داود " فأظلت عليهم الطير حتى أظلمت عليهم الأرض ، فقال " سليمان " للطير : إقبضى جناحاً

قال " أبوهريرة " فطفق رسول الله ﷺ يرينا كيف فعلت الطير ، وقبض رسول الله ﷺ بيده ، وغلبت عليه يومئذ المضحية .

(فى مراجعة تاريخية لحياة " داود " - عليه السلام - وقفت على الآتى :
وأبناء " داود " هم :

(أمنون) أنجبه من امرأة إسمها (أضيئوعم) اليزرعية .

(دانيال) من امرأة إسمها (أبيجايل) الكرملية .

(أبشلوم) من (مقلة) بنت (تلماي) ملك جشور .

(أودنياه) من (حجيت)

(شفطباه) من (أبيطال)

(يثرعام) من امرأته المسماه (عجلة)

وهؤلاء الستة ولدوا له فى "حبرون" - مدينة الخليل - قبل جلوسه
على العرش فى "أورشليم" التى ولد له فيها : (شمعا) (شوبا) (ناتان)
(سليمان) أنجبهم من (بتشوع بنت عميثيل)^(١)
ومن غير هذه الزوجة ولد له أيضاً أبناء ذكور هم :
(كسبحار) (اليشامع) (أليفالط) (نوجه) (نافج) (يافيغ) (اليشاماع)
الثانى (إلياداع) (إلينلاط) الثانى
وفى أورشليم " أيضاً ولدت له ابنته (تامارا)
ويحتاط الراوية إن هؤلاء المذكورين هم أبناؤه من الزوجات فقط ، وأنه
لم يذكر أبناءه من (غيرهن)^(٢) .إ.هـ

(١) لعلها أرملة الضابط (أوريا)

(٢) يعنى السرارى .

”بلقيس” (١) - ملكة ”سبأ”

زوجة ”سليمان” - عليه السلام -

❖ عريقة الأصل والمحتد . . !

❖ ينتهي نسبها إلى ”عرب بن قحطان” جد العرب العاربة (٢)
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا
مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ
الْمُبِينُ﴾ (النمل : ١٦)

عَلَّمَ منطق الطير والحيوان ، وسخرت له الريح رخاء يمطى منها إلى
حيث أصاب . . ، وسخر الجن والشياطين يخدمون بين يديه ؛ وأوتي من
كل شيء إذ استجاب الله تعالى لدعائه ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص :
٣٥)

وبالمقابل كان الشكر والطاعة وإخلاص العيادة ، وإحقاق الحق
والعدل . . ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

(١) قيل إسمها ”تلقة” و ”بلقيس” لقب لها .

(٢) العرب : عاربة ومستعربة ؛ والعاربة أصل العرب ، والمستعربة من انتموا إليهم ، ومنهم سيدنا
”إسماعيل - عليه السلام - .

وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ (النمل : ١٩).

وقصة "سليمان" - عليه السلام - مع "بلقيس" "ملكة" سبأ في
"اليمن" تبدأ من حيث حشر "لسليمان" جنوده ، كل جنوده من الإنس
والجن والطيور والحيوان . . . !

وتفقد - عليه السلام - الطير ، فلم يجد الهدهد فقال : ما لي لا أرى
الهدهد ؟ هل غاب عن العرض قصداً ، أم لعله وعذر ؟ فإن كانت الأولى
لأعذبه أو لأذبحه قصاصاً وجزاءً وإن كانت الأخرى فسوف نرى . . . !
فمكث الهدهد غير بعيد ، لم يطل غيابه ، فلما حضر أظهر الطاعة ،
والولاء ، واعتذر فقال : يا مولاي عرفت شيئاً لم تعرفه أنت ، ولم تحط
به ، لقد كنت في "سبأ" وجئتكم منها بنبأ يقين ، يستحق اهتمامك . . . !
وجدت امرأة تحكم القوم ، ذات سلطان وغنى ، ولها عرش عظيم . . . ،
والأدهى من ذلك أنى وجدتها وقومها يعبدون الشمس ويسجدون لها من
دون الله ، وذلك من ضلالة الشيطان لهم الذي زين لهم أعمالهم فصدتهم
عن السبيل القويم والصراط المستقيم . . . ! كيف هذا يا سيدي !! كيف لا
يعبدون الله تعالى الذي يخرج الخبء من السماوات والأرض ، ويعلم السرّ
والنجوى !!! إستمع "سليمان" - عليه السلام - للهدهد وقبل عذره
بانتظار جلاء ليرى وقال له : سننظر أصدقت أم كذبت .

ثم حمله رسالة إلى هذه الملكة وقومها ؛ وأمره أن يبلغها لهم خفية . . . !
حملها الهدهد وطار بها ، ثم دخل مخدع الملكة وألقى الكتاب على
سريرها ، ثم انتظر ليرى ما يكون من رد فعلها .

ووجدت "بلقيس" الكتاب فوق سريرها فارتاعت ، ثم دعت كبراء
دولتها إلى الاجتماع العاجل ، وعرضت عليهم الأمر للتشاور ، فقالوا

لها : نحن كما تعرفين أصحاب قوة وبأس لانهاب شيئاً ولا نخشى التهديد والوعيد ، وعلى كل حال فمرجع الأمر إليك ، وعلينا الطاعة .

قالت " بلقيس " - وكانت عاقلة حاذقة - : إعلموا أن الملوك إذا هاجموا بلداً دمروه وأفسدوه وأذلوا الناس بجبروتهم وسلطانهم .

وأرى أن نصالح " سليمان " ونداهنه ، ونبعث إليه بالهدايا ثم ننتظر الرد . . . ! فوافقوها على تدبيرها . فلما جاءت " سليمان الهدايا ضحك ساخراً وقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (النمل : ٣٦)

ورد الهدية مع حاملها ، وأرسل ينذر " بلقيس " وقومها بالإقلاع عن عبادة غير الله ، والإفانه سوف يأتيهم بحشود وبجنود لا قبل لهم بها ولا قدرة على مقاومتها ، وسوف يبطش بهم بطشة كبرى . . . أو يأتون مسلمين ، معلنين التوحيد . . !

ثم نادى - عليه السلام - : ﴿ قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ قَالَ ۖ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۖ ﴿٣٨﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل : ٣٨ - ٤٠)

وفى لحظة خاطفة كان عرش " بلقيس " بين يدي " سليمان " - عليه السلام - فلما رآه بين يديه وقد استقرّ عنده قال ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل : ٤٠)

لقد أدرك - عليه السلام - بالعلم والإيمان اللذين أوتيتهما أن الحكمة من ذلك كله هو آتلاؤه واختباره!! فقال ما قال في ضراعة وإيمان وخشوع ويقين .

وفى تلك الأثناء كانت "بلقيس" قد غادرت "سبأ" فى موكب ملوكى وحاشية حاشدة ، من الكبراء والعظماء بعد أن ردت إليها هديتها . . !

لقد أثرت السلامة لبلدها وشعبها ، وبادرت بالقدوم إلى مملكة "سليمان" فى "بيت المقدس" معلنة ولاءها . . ، ولم تدر ما حل بعرشها!!

وقبل وصولها قال "سليمان" - عليها السلام - لبعض أعوانه : ﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ (النمل : ٤١) غيروا معالمة ومظاهره لـ ﴿ نَنْظُرَ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

ودخلت "بلقيس" على سليمان " فى مجلس سلطانه وحكمه وبعد إن استقر بها المقام ، ورحب بها على عادة الملوك - سئلت ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ﴾؟؟

فنظرت ناحية العرش - وتفرسته - وتأملته . . ثم ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ وقد دل ذلك على جهلها وبُعدها عن الله ولو أنها دقت . . ، لأيقنت بأن ما تراه هو عرشها الضائع . . ، وقد استقر بين يدي "سليمان" - عليه السلام .

وسُجلت من بعد على "بلقيس" وملئها مواقف الجهل والضعف والتخاذل واحداً بعد الآخر بسبب كفرهم ثم كانت الخاتمة . .

قام سليمان - عليه السلام - من مجلسه ، وقامت ، ثم نهض الحاضرون فى إثرهم - واتجه الموكب إلى قاعات القصر الداخلية ، مروراً بالصرح . . !

وكاد مكنا فسيحاً ارحباً ا ، وتحيط به الأروقة ذات الأعمدة وتأخر
" سليمان " - عليه السلام - فلما أرادت أن تضع قدمها على بلاط الصرح
كشفت عن ساقها . . !

لقد رأت انعكاس مقدم الموكب على أرض الصرح ، كما رأت
انعكاس الأعمدة ورؤء المنظر ، فظنت الأرض لجةً من الماء الرائق
الصافى . . . !

فتسليم " سليمان " - عليه السلام - وقال ﴿ إِنَّهُ صَرَخُ مُمَرَّدٍ مِّنْ
قَوَارِيرَ ﴾ قد بلطت أرضه بالبلور الشفاف ، وليس ماءً كما خيل لك .
هنا . . . انهارت جاهلية " بلقيس " وغطرتها . . . وطأطأت رأسها
أمام العلم الذى وهبه الله تعالى لنبه " سليمان " - عليه السلام ، وأمام
القوة التى منحت له من البارئ عز وجل .
﴿ قَالَتْ رَبِّ انِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل : ٤٤)

وتزوج " سليمان - عليه السلام - من " بلقيس " ، وأعادها إلى
" سبأ " ، وكان بأتيها بين الحين والآخر .

ولم تكن " بلقيس " هى الزوجة الوحيدة . . . ، فقد قيل بأنه عليه
السلام ، كان له أربعمئة امرأة (زوجة) وستمئة سرية ، ورد ذلك فى
" توراة " أهل الكتاب .

كما ورد فى الصحيحين عن " أبى هريرة " - رضى الله عنه - (أن
سليمان بن داود كان له أربعمئة امرأة وستمئة سرية فقال يوما : لأطوفن
الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله
- ولم يستثن - فطاف عليهن ، فلم تحمل واحدة منهن ، إلا امرأة واحدة
جاءت بشق إنسان ، فقال النبى ﷺ : (والذى نفسى بيده لو آستثنى

فقال : إن شاء الله ، لولد له ما قال فرسان ، ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل)

هل ولدت " بلقيس " من " سليمان " ؟ يذكر أهل القصص وبعض المفسرين أن " بلقيس " ولدت لـ " سليمان " - عليه السلام - ولدا واحداً كما يزعم ملوك " الحبشة " أنهم أحفادُ " سليمان " من هذا الولد .

”إليصابات”^(١)

- ❖ زوجة " زكريا " عليه السلام
- ❖ هى أخت حنة - أم " مريم " - عليها السلام
- ❖ لذلك قيل تجوزا عن " يحيى " و " عيسى " عليهما السلام : إبننا الخالة
- ❖ لم : يلد سوى " يحيى " بعد عقر طال زمناً^(٢) .
- ❖ ولقد سُمى من قبل الله تعالى ، ولم يكن الاسم معروفاً من قبل^(٣) .

كان زكريا - عليه السلام - من خدام الهيكل فى " بيت المقدس " وكذلك " عمران " والد " مريم " عليها السلام وهؤلاء كانوا أمناء على الشريعة وينتهى نسبهم إلى " لاوى ابن يعقوب " عليه السلام و " لاوى " هو أحد الأسباط الأثنى عشر .

1 (□) (أليزابيث) باللغات الأجنبية . وقيل اسمها " اشباع " ، والأشهر الأول .

(٢) ﴿وَكَاَنَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم : ٥) .
(٣) ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم : ٧) .

تقدمت به السن حتى جاوز السبعين من عمره ^(١) ، ولم
ينجب . . . ، إذ كانت زوجته " اليصابات " عاقرا . . . ، وكان عليه
السلام يتمنى الولد ليرثه فى القيام بمسئولية الأمانة على الشريعة فى
" بنى اسرائيل " الذين كثر المحرافهم وضلالهم . واشتد حنأه هذا
حين وضعت " حنة " أم " مريم " - عليها السلام - . . . ، وكانت
" حنة " لشدة تقواها قد نذرت ما فى بطنها لخدمة الهيكل . . .

﴿ اِذْ قَالَتْ اَمْرًآتُ عَمْرٰٓنَ رَبِّ اِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى
بَطْنِىٓ مُحَرَّرًاۙ فَتَقَبَّلْ مِنِّىۡ اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِیْعُ الْعَلِیْمُ ﴿٣٥﴾
فَلَمَّا وَضَعْتُهَا قَالَتْ رَبِّ اِنِّى وَضَعْتُهَا اُنْثٰى وَاللّٰهُ اَعْلَمُ
بِمَا وَضَعْتُ وَلَیْسَ الَّذِکُّرُ کَالْاُنْثٰى وَاِنِّى سَمَّيْتُهَا
مَرْیَمَ وَاِنِّىۡ اَعِیْذُهَا بِکَ وَذُرِّیَّتَهَا مِنَ الشَّیْطٰنِ الرَّجِیْمِ
﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ وَاَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًاۙ
(آل عمران ٣٥ - ٣٧)

وكان " عمران " والد " مريم " قد توفى فاقترع ذوو الرحم أيهم
يكفل مريم ؟! والخالة بمنزلة الأم كما روى عن سيدنا رسول الله ﷺ ،
واليصابات اخت " حنة " . . . و " زكريا " - عليه السلام -
زوجها . . . ، فخرج بالاقتراع سهم زكريا فكانت له الكفالة
﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۙ ﴾ (آل عمران ٣٧) .

فقام - عليه السلام - بواجب الرعاية والعناية ، وكذلك زوجته -
خالتها -!

(١) وفى رواية سبعة وسبعين سنة - والله أعلم .

وكان دائم التفقد لها ، بكرة وعشيا . . ، يحمل إليها المتاع والطعام ولم تكن بحاجة إلى المأكل والمشرب إذ كان يرى عندها ما يكفيها ، فظن أن أحدا غيره يأتيها به ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران ٣٧) .

عندها تيقظت في نفس زكريا - عليه السلام - دوافع الجسرة على الولد ، وحيه للذرية ﴿ هُنَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران ٣٨) .

واستغرق - عليه السلام - في الصلاة والدعاء والمناجاة ، واستجاب الله تعالى لنداء عبده زكريا ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران ٣٩) .

وبين التصديق والرجاء طافت نفس زكريا فقال ﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران ٤٠) .

﴿ كَهَيْعَتِ ١ ﴾ ذكرُ رَحِمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا
 ﴿ ٢ ﴾ اذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿ ٣ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلِيمَ أَكُنْ
 بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿ ٤ ﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ

وَرَأَى وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَيَّ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
 ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا
 ﴿٦﴾ يَزَكِّرِيَا أَنَا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ
 لَهُ مِنْ قَبْلُ سُمِّيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ
 وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا
 ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيِّئٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ
 مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾

(مريم : ١-٩)

وطلب زكريا من الله تعالى أن يجعل له آية وعلامة على استجابته
 للدعاء ، فأجابه المولى عز وجل ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ
 آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (مريم : ١٠)
 أى : علامة ذلك أن يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزا
 وأنت فى ذلك سوي الخلق صحيح المزاج ، معتدل البنية .

عندئذ خرج زكريا - عليه السلام - من المحراب مسرورا ، يفيض
 رضى ، وأوحى إلى قومه أن سبحوا لله تعالى وقدسوه .

وانقطع عقم " اليصابات " فحملت يحيى - عليه السلام -
 ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ
 زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
 وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾
 (الأنبياء : ٩٠) وتم أمر الله تعالى .

نساء النبي (صلى الله عليه وسلم)

- ١- خديجة بنت خويلد
- ٢- سودة بنت زمعة
- ٣- عائشة بنت أبي بكر
- ٤- حفصة بنت عمر
- ٥- زينب بنت خزيمة (أم المساكين)
- ٦- هند بنت أبي أمية (أم سلمة)
- ٧- زينب بنت جحش (الأسدية)
- ٨- جويرة بنت الحارث (المصطلقية)
- ٩- صفية بنت حيي (بن أخطب)
- ١٠- رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة)
- ١١- مارية القبطية
- ١٢- ميمونة بنت الحارث (الهلالية)
- ١٣- ریحانة بنت شمعون

(رضى الله عنهن)

كلمة لا بد منها

قبل أن نخوض فى الحديث عن زوجات سيدنا رسول الله ﷺ وقبل الشروع فى الكلام عن الظروف التى رافقت زواجه ﷺ لكل منهن ، لا بد من جلاء شبهة اندست فى غفلة من الوعى إلى نفوس وعقول كثير من الناس ، ورددوها كالببغاوات ، وفحواها أن محمداً ﷺ كان عنده شبق إلى النساء . . ؟!

وهذه وسوسة من المستشرقين ، افتروها على النبى الخاتم - صلوات الله وسلامه عليه - ولو أنصفوا لما قالوا ذلك .

ذلك أنهم لو رجعوا إلى توراتهم لتبين لهم أنهم كما قيل (رمتنى بدائها وانسلت)!! فأين عدد نسائه ﷺ من أزواج من سبقه من الأنبياء والمرسلين وسرارهم !!؟ " داود وسليمان " عليهما السلام مثلاً . . .!!!

ومعاذ الله تعالى أن نطعن فى ذلك ، وما يجوز لنا أبداً ، وما نحن بالذى نقيمه ولكنه الرد على الفرية ومقتضى المنطق .

أضف إلى ذلك افتراءاتهم على أنبيائهم بالتهم التى لا تستوى أبداً مع قدسية الأمانة ومسئولية النبوة والرسالة ، كالحيلة والغدر وغيرهما .

وتقول السيدة الدكتورة بنت الشاطىء^(١) - رحمها الله تعالى - :
(المستشرقون لم يروا فى هذا الجمع بين عدد من النساء ، لزوج
واحد ، سوى مظهر مادية مسرفة ، وإنه لضلال أملاه التعصب
الأحمق والهوى المضل وانحراف عن المنهج العلمى الذى يأبى أن
نقيس مسألة تعدد الزوجات بمقاييس عصرية مستحدثة أضرت
بالمرأة والأسرة والمجتمع ، من حيث يظن بها مصلحة منصفة .
وهذا الغرب لا يجرو اليوم على أن يدعى أن نظام الزوجة
الواحدة يتبع فى دقة ، وينفذ نصا وروحا ، ومع هذا يأتى بعض
أبنائه فينكرون فى جرأة تعدد الزوجات فى بيئة قد كان التعدد هو
نظامها السائد التى لا تعرف سواه إلا فى حالات قليلة ولدواع
خاصة ، ولم يكن هذا النظام اختياريا ، وإنما قضت به طبيعة
الزمان والمكان ، فى مجتمع كان البنون فيه زينة الحياة الدنيا .
وربما بدا لنا اليوم أن ذلك التعدد كان مظهرا من مظاهر استعباد
المرأة العربية ورقها المزعوم ، وأنه قصد إلى إرضاء الرجال ، ولكنه
- فى الحق - كثيراً ما ألقى على الرجال عبئاً ثقيلاً مرهقاً وأنقذ المرأة
العربية من نظام أبشع من التعدد ، وهو هذا الرق العصرى الذى
يعترف لزوجته واحدة بشرعية الزواج ويدع لغيرها - ممن يعاشرهن
الزوج فى الحرام - الضياع والهوان والعار ، ويرهق الإنسانية بمورد
لا ينقطع من أولاد الحرام ، المنبوذين اللقطاء إ - هـ

(١) الدكتورة "عائشة عبد الرحمن" (سيدات بيت النبوة : ص ٢٠٦)

”خديجة بنت خويلد” (رضى الله عنها)”

- ❖ أول أمهات المؤمنين .
- ❖ وأم الذرية الطاهرة .
- ❖ كانت ذكرها في قلبه وعلى لسانه ﷺ دائماً
- ❖ فتقول - عائشة - رضى الله عنها لرسول الله ﷺ
- ❖ (ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين ،
هلكت في الدهر ، ابدلك الله خيراً منها !! فيجيبها ﷺ
غاضباً . . " والله ما أبدلنى الله خيراً منها آمنت بى
حين كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواستنى
بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون
غيرها من النساء)^(١)

هى : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى -
الأسدية القرشية - يتصل نسبها برسول الله ﷺ بجدهما " قصى " ^(٢) .

(١) الاستيعاب لـ " ابن عبد البر " (ح : ٢٤٣٧) و " السُّمْتُ الثمين " للمحب
الطبرى

(٢) قصى : الذى بنى دار الندوة لقريش .

تزوجت (خديجة) قبل رسول الله ﷺ باثنين من سادات العرب وأشرفهم هما : "عتيق بن عائذ بن عبد الله" - المخزومي - و "هند ابن زرارة التميمي" - أبى هالة ^(١) وكلاهما ماتا وتركاهما إرثاً عظيماً ومالاً وفيراً .

فكانت تدير ثروتها بنفسها ، تستأجر الرجال وتبعثهم بالقوافل المحملة فى رحلتى الشتاء والصيف ، كانت عاقلة حازمة ، سامية الخلق ، حتى عرفت فى مكة بـ "الطاهرة" ، يحترمها الجميع ويقدرّون منزلتها .

عندما بلغ سيدنا رسول الله ﷺ الخامسة والعشرين من عمره الشريف ، كان لا يزال يعمل فى رعاية الأغنام على قراريط لبعض رجال من قريش ، وقد خرج فى أكثر من رحلة مع عمه أبى طالب إلى "الشام" فهو يتقن أصول التجارة بيعاً وشراءً ، وكان لا يزال يقيم فى بيت عمه "أبى طالب" .

فقال له عمه ذات يوم : (يا ابن اخى ، انا رجل لا مال لى ، وقد اشتدت علينا وألحّت سنون منكرة ، وليس لنا مال ولا تجارة ، وهذه غير قومك قد حضر خروجهما إلى الشام ، وخديجة تبيع رجلاً يتجرون فى مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من أمانتك وطهارتك وإن كنت أكره أن تأتى الشام

(١) يقال انه ولد منها ابنتهما (هالة) .

وأخاف عليك من اليهود ، وقد بلغنى انها أستأجرت " فلانا " بـبكرين^(١) ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته فهل لك أن أكلمها ؟؟) .
فأجابه ﷺ (ما أحبيت يا عم...) وقبل رسول الله ﷺ ، وقد وعدته السيدة - خديجة - أن تعطيه ضعف ما تعطى غيره من الرجال ، وانتظم ﷺ فى ركب القافلة ، التى أدت مهمتها بنجاح منقطع النظير ورجحت رجاً عظيماً ، ولما عادت إلى مكة وكان غلامها - وكيلها - " ميسره " معجباً شديداً بالاعجاب بما رآه من سيدنا محمد ﷺ فى حسن تعامله مع التجار وصدقه وأمانته .

ولقد حدث سيدته بذلك . . مما أثار فى قلبها الميل إليه والاعجاب به ، لكنها لم تفتح بذلك أحداً ، سواء من أقربائها أو أصدقائها أو صديقاتها .

اللهم إلا ما كان من " نفيسة بنت منية " وكانت من أقرب المقربات إليها . رأت نفيسة فى عينى " خديجة " حيره وتردداً ، فما زالت بها تراودها حتى أفصحت لها ، وذكرت " محمداً " - الأمين - ﷺ بخير فهونت عليها " نفيسة " الأمر ، ووعدتها ، ومن ثم مضت إلى سيدنا " محمد " ﷺ تقول : له ما سبب عزوفك عن الزواج ، وهلا سكنت إلى زوجة تحنو عليك وتؤنسك وتزيل وحشتك ؟ .

(١) يقال : بكر وبكر وهو الفتى من الأبل .

فاعتذر ﷺ بقلّة ذات يده وقال : ما بيدى ما اتزوج به ، فقالت له نفيسة : فإن دعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ فاستفسر فإذا هي - خديجة - ، فوافق من غير تردد .

وجاء إلى بيتها أعمامه : (أبو طالب - والعباس - وحمزة) خاطبين ، وكان عندها عمها (عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي) فقال أبو طالب شيخ بنى هاشم : (أما بعد فإن محمدا لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال قل فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله فى "خديجة" بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك) .

فأثنى عمها "عمرو بن أسد" على سيدنا "محمد" ﷺ وقبل الخطبة والزواج وأنكحها منه ، وكان الصداق اثنتى عشرة أوقية أو عشرين بكرة^(١)

كان عمر "خديجة" يومئذ أربعين سنة ، وعمر سيدنا محمد ﷺ خمسة وعشرين ، وهذا الفارق السنى لا نعول عليه ، فقط نقول : كان هذا الزواج اقتران عقل راجح إلى عقل راجح وخلق إلى خلق . أقبلت "خديجة" رضى الله عنها - على سيدنا محمد ﷺ إقبال الزوجة الصالحة والأم الحنون ، وأقبل عليها يقدرها ويحترمها ، ويفيض عليها من خلقه العظيم .

ومرت الأعوام . . وتتابع على - خديجة - الحمل والولادة ، ورزق منها سيدنا محمد ﷺ باثنين من البنين هما : "القاسم" الذى كان

(١) هذه المقادير لا نستطيع تحديدها اليوم .

به يكنى- و "عبد الله" ، ولكنهما لم تطل بهما الحياة ، فقد ماتا فى شهرهم الأولى^(١) ، ثم بأربعة من البنات هن : ("زينب" و "رقية" و "أم كلثوم" و "فاطمة الزهراء") - رضى الله عنهن - وكانت ولادة فاطمة قبل البعثة بخمس سنوات .

عندما شارف سيدنا محمد ﷺ سن الأربعين حُبب إليه الخلاء ، أَلْف الخلوة فى غار حراء ، واستطابت نفسه أن يتتعد عن الناس ، ليس هجرا لهم واستيحاشاً منهم ولكن بعداً عن جاهليتهم فى وثنيهم ونفورا من مظالمهم وتأبياً لسلوكهم

ولم تكن " خديجة " - رضى الله عنها - لتعترض أو تمنع ، بل كانت تشجعه على ذلك ، وتوافقه وتهى له الزاد أو تبعث به إليه إذا طال غيابه - أياما وليالى ، وأيضا كانت تبعث من يطمئنها عليه .

وكانت إرهابات النبوة فى واحد من ذرية " إسماعيل " - عليه السلام - تتردد عند العرب فى مختلف ديارهم وبقاعهم ، حتى إن بعضهم كان يرى جدارته بها ، فكانوا يقومون برياضاتهم الروحية ، لعلهم يظفرون وقد عرفوا بالمتحفين - أى الذين مالوا عما عليه قومهم فى سوء العقيدة وفساد السلوك . ولكن ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام : ١٢٤)

حتى كانت (ليلة القدر) التى هزت وزلزلت كل كيان ، حتى إن قلب المصطفى ﷺ رجف لها . . ! فما بالك بأفواج ومواكب الملائكة -

(١) فى ذلك حكمة لا يعلمها إلا الله .

عليهم السلام - ينزلون - بأمر الله ، من السماء إلى الارض وقد
أشرقت بنور ربها ، يتقدمهم الروح الأمين " جبريل " - عليه السلام -
ليقول لسيدنا رسول الله ﷺ (أقرأ) ، ويبلغه الاختيار بالرسالة والنبوة ،
وصدق من قال : إنها ليلة محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

تقول أستاذتنا الدكتورة (بنت الشاطيء) رحمها الله تعالى :

(فما نزل عليه الوحي في ليلة القدر وهو في غار حراء حتى انطلق
يلتمس بيته في غبش الفجر ، خائفاً شاحباً مرتعد الأوصال ، وإذ بلغ
حجرة زوجته أحس أنه وصل مأمنه ، فحدثها بصوت مرتجف عن كل
ما كان ، ونفض لديها مخاوفه) .

ولو شئنا أن نستطرد لزدنا عما تقوله بنت الشاطيء في وصف حالته
التي عاد بها رسول الله ﷺ من غار حراء إلى مكة ، ولقد أطنب في ذلك
كتاب السيرة والمؤرخون وعلماء التفسير وغيرهم .

والذي يهمنا قوله أن الزوجة " خديجة " - رضى الله عنها - بما ركب
في سجيتها من صفات وعاطفة ورجاحة عقل حملت نصيباً من بركة
تلك الليلة وعظمتها .

فلما أتاه رسول الله ﷺ وحدثها حديثه قالت في ثقة وطمئنان :

(الله يرعانا يا أبا القاسم . . ابشري يا ابن عم واثبت فوالذي
نفس " خديجة " بيده انى لأرجو ان تكون نبى هذه الأمة ، والله لا

يخزيك ابدا . . انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل
وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق^(١)
هدأت من روعه وثبتته . . !

ثم انطلقت إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) ، وكان من حكماء
الجاهلية ، عزف عن عبادة الأوثان ، وقرأ كتب أهل الكتاب ، ثم
تنصر ، فأخبرته بما كان من أمر سيدنا رسول الله ﷺ فانتفض " ورقة "
وقال :

(قدوس . . قدوس . . ، والذي نفس " ورقة " وبيده ، لئن كنت
صدقتني يا " خديجة " ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي
" موسى " و " عيسى " وإنه لنبي هذه الأمة ، فقولى له فليثبت)^(٢) .
وعادت إلى البيت وكان ﷺ ما يزال نائما ، فلما استيقظ أخبرته
بمقولة " ورقة " ، فنظر ﷺ إلى فراشه وقال : (انتهى يا " خديجة " عهد
النوم والراحة ، فقد أمرنى " جبريل " ان أنذر الناس ، وأن أدعوهم إلى
الله وإلى عبادته ، فمن ذا أدعو ؟ ومن ذا يستجيب ؟) .
وكانت - رضى الله عنها - أول الناس إسلاما وإيمانا .
وطلبت إليه أن يذهب سويا إلى " ورقة " فلبى طلبها فلما أطلا على
" ورقة " وكان شيخا هراما طاعنا فى السن ، على شفا حفرة من
الموت ، صاح مستبشرا :

(١) السيرة والروض الأنف وتاريخ الطبرى وعيون الأثر والإصابة والسمط الثمين
(٢) الحديث من الصحيحين عن " عائشة " رضى الله عنها .

(والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ، ولتكدبن ، ولتؤذين ،
ولتخرجن ، ولتقاتلن ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا
يعلمه)

وقبل رأس رسول الله ﷺ

فقال له ﷺ : (أومخرجي هم ؟) قال "ورقة" : نعم . . . لم يأت
رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى به ، ليتنى فيها جذعاً (شاباً فتياً)
ليتنى أكون حياً^(١) . ومرت سنوات ، وقفت فيها الزوجة المحبة الوفية
إلى جانب زوجها النبى الرسول ﷺ ، تنصره وتشد أزره ، وتثبته وتعينه
على احتمال أقسى صنوف الأذى والمحن والشدائد ، وتنفق من مالها
فى سبيل الله ، لا تبتغى إلا رضى الله تعالى ورضوانه .

وفى مرة من مرات الوحي ، وقد انفصم عنه ، أخبرها النبى ﷺ أن
- "جبريل" - عليه السلام - يبلغها السلام من الله تعالى ، فقالت : منه
السلام وإليه يعود السلام .

وبلغت خديجة - رضى الله عنها - سن الخامسة والستين ، وكانت
قد قضت السنوات الثلاث الأخيرة فى الحصار ، الحصار الذى فرضته
قريش على المسلمين وبنى هاشم وبنى المطلب فى شعب أبى طالب ،
سنوات عجاف ذاقوا فيها أشد أنواع البلاء ، فصبرت واحتملت
ولكنها سقطت فريسة للمرض .

وسبقها إلى الآخرة "أبو طالب" شيخ بنى هاشم وعم النبى ﷺ .

(١) صحيحى البخارى ومسلم وتاريخ الطبرى وكتب السيرة

وبعد أيام ثلاثة لحقت بربها ، وكان رسول الله ﷺ يقف عند رأسها
يواسيها ويخفف عنها وعيناه الشريفتان مغرورقتين بالدمع حزنا على
فراقها ، ولا يملك إلا أن يقول لها ما بلغه إياه " جبريل " - عليه السلام -
(إن الله يبشرك بيبيت فى الجنة من قصب لا نصب فيه ولا وصب)^(١)
وفارقت الدنيا وبسمة الرضى لا تفارق ثغرها ، ودفنت بالحجون .
كانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين ، فى أوائل شهر رمضان من
ذلك العام ، الذى سمي بعام الحزن . رضى الله عنها وأرضاها ،
وأكرم فى الجنة مثواها مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا .

(١) القصب : اللؤلؤ المجوف ، والنصب : التعب ، والوصب : المرض

سودة بنت زمعة (رضى الله عنها)

- ❖ ثانية أمهات المؤمنين .
 - ❖ من مهاجرات الحبشة ، ومن السابقات إلى الإسلام
 - ❖ رعت بيت النبوة بعد " خديجة " وحننت على البنات : أم كلثوم وفاطمة : : لها من اسمها نصيب إذ كانت شديدة السمرة . . !
 - ❖ أما قلبها فكان أشد بياضا من الثلج وأصفى من الماء .
- هى (سودة بنت زمعة بنت قيس بن عبد شمس) - القرشية العامرية - وأمها " الشمسسوس بنت قيس بن زيد " الأنصارية من بنى (عدى ابن النجار) - أخوال رسول الله ﷺ .
- أسلمت - سودة - رضى الله عنها - مبكرة ثم هاجرت مع زوجها " السكران بن عمرو بن عبد شمس " - ابن عمها إلى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ، بإذن رسول الله ﷺ حين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت جرّاء ما لقيه أولئك من عذاب وفتنة .

فكانت الهجرة والبعد عن الأهل والوطن محتتها الأولى . ثم ما لبثت أن تأيَّمت ، إذ مات عنها زوجها ، فكانت محتتها الثانية ، كل ذلك فى سبيل الله تعالى . وحين نعى إلى المهاجرين خبر إسلام (عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -) رجع بعضهم إلى مكة اعتقاداً منهم بأنهم سوف يمنعون ، وعادت " سودة " مع من عاد .

عادت إلى بيت أبيها " زمعة " وكان شيخا كبيرا ، أقعده الضعف عن السعى ، فأقامت معه ترعاه فى شيخوخته وتحنو عليه وتصبر .

وبعد وفاة " خديجة " - رضى الله عنها - خلا بيت النبوة من سيدة ترعى شئونه ، وفقد رسول الله ﷺ الصدر الحنون الذى كان يستريح اليه ، والقلب الكبير الذى كان يثبته شكواه .

وكان الصحابة - رضى الله عنهم - يرون ذلك فيشفقون ويتمنون لو أن رسول الله ﷺ تزوج ولكن لم يجرؤ أحدٌ منهم على مفاتحته ﷺ فى هذا الأمر .

حتى جاءته يوماً " خولة بنت حكيم " ^(١) - رضى الله عنها - فقالت :

(يا رسول الله كأنى أراك قد دخلتك خلّة لفقد " خديجة " !!)

فقال ﷺ : (أجل كانت أم العيال وربة البيت)

سكنت قليلا . . ثم قالت : ألا تتزوج !؟

فقال : (ومن بعد " خديجة " ؟!)

وأیضا سكنت قليلا ثم قالت :

(١) زوجة عثمان بنت مظعون

إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً
 قال ﷺ : من البكر ومن الثيب؟
 فقالت : البكر بنت أحب الناس إليك "عائشة بنت أبي بكر"
 والثيب "سودة بنت زمعة"
 وفكر (ﷺ) برهة ثم قال : اما "عائشة" فهي ما تزال صغيرة^(١) .
 فقالت خولة : تخطبها الآن وتنتظرها حتى تنضج .
 وإلى أن تنضج لا بد من سنوات . فمن يرعى شئون الأسرة؟
 فقال (ﷺ) ، وقد تذكر حال "سودة" : هجرتها وترملها ، وسبقها
 وإيمانها وخبرتها :-
 أخطبني عليهما
 وتمت خطبة "عائشة" وتم الزواج من "سودة" ، التي دخلت بيت
 النبوة أمّاً ثانية للمؤمنين .
 جاءت "خولة" الى "سودة" تقول لها :
 ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة يا "سودة" ؟
 قالت : وماذا يا "خولة" ؟
 قالت : أرسلني رسول الله (ﷺ) أخطبك اليه .
 وكادت الدهشة والتعجب يعيانها عن الكلام ، ثم قالت في
 فرحة : وددتُ . : أدخلني على أبي فأذكرى له ذلك .
 فدخلت "خولة" عليه وهو شيخ كبير - قد تخلف عن الحج^(٢)
 فحيته ثم قالت :

(١) كانت في السابعة من عمرها

(٢) كانت الأيام أيام موسم

إن "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب" أرسلني أخطب عليه
"سودة".

فصاح الشيخ : كفؤ كريم . . ، فماذا تقول صاحبتك؟
قالت "خولة" : هي تحب ذلك

فاستدعاهما وسمع منها ، ثم طلب إلى "خولة" أن تدعو إليه
"محمدًا" (ﷺ) وهكذا تمت الخطبة وتم الزواج .

ولم تكن "سودة" - رضى الله عنها - بمن يشتهي من النساء إذ
ليست بذات جمال ، وقد أسنت ، ولم تكن أيضا بمن يستطعن تعويض
الحنان لبنات النبي (ﷺ) عن أمهن "خديجة" ، بل من الذى يسد هذا
الفراغ!؟

فقط كان سيدنا رسول الله (ﷺ) يريد جبر خاطر هذه المرأة التى
أسلمت مبكرة وتحملت ، وهاجرت وتعذبت ، وترملت وفقدت
الزوج .

وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ﴾ (التوبة : ١٢٨)

ودخلت "سودة بنت زمعة" بيت النبوة ، وأدركت منذ اللحظة
الأولى مكانتها ومقامها ، وعرفت أنها إنما تزوجت من "محمد"
الرسول وليس "محمدًا" الرجل ، فقلبه (ﷺ) معلق بحب الله تعالى
والدعوة والرسالة ، وإن عواطفه ومشاعره ليست ملكه إنما هي
للمسلمين عامة ، وإن ذكر "خديجة" - رضى الله عنها - ما تزال تشغل
حيزاً فى نفسه الشريفة .

أدركت "سودة" كل ذلك بحكم السن والتجربة ، فرضيت بذلك قانعة .

وليس أدل على ذلك من خلال جوابها رسول الله (ﷺ) يوم أراد فراقها : (والله ما بى على الأزواج من حرص ، ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك) كانت - رضى الله عنها - بدينة ثقيلة الجسم .
وتحدثنا "عائشة" - رضى الله عنها - فتقول : (استأذنت "سودة" رسول الله (ﷺ) ليلة "المزدلفة" أن تدفع قبل حطمة الناس ، وكانت امرأة ثبطة^(١) فأذن لها) .

وكانت بها دعاة ، وتسعدها أن ترى رسول الله (ﷺ) يضحك من مشيتها ، ويأنس إلى خفة روحها ، ويستلمح عبارة من عباراتها .
كما قالت له (ﷺ) مرة : (صليت خلفك يا رسول الله فركعت حتى أمسكت بأنفى مخافة أن يقطر الدم . وتبسم لها رسول الله (ﷺ))
وكانت بها طيبة ، تقول بلسانها ما يجيش فى صدرها ، دونما حذر أو انتباه .

روى ابن اسحق المطلبى انه عندما قدم بأسرى بدر رأت "سودة" - رضى الله عنها - (سهيل بن عمرو)^(٢) ويكنى بـ "أبى يزيد" فى ناحية حجرتها قد جمعت يداه إلى عنقه فقالت ولم تملك لسانها : أي "أبايزيد" أعطيتم بأيديكم . ألا متُّ كراماً؟

(١) - ثبطة : ثقيلة ، والحديث فى الصحيحين

(٢) أخو زوجها (السكران بن عمرو)

فسمعها رسول الله (ﷺ) فقال : (يا "سودة" أعلّى الله ورسوله
تحرّضين)

فقالت - معتذرة : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، ما ملكت
نفسى حين رأيت "أبا يزيد" مجموعة يدها إلى عنقه أن قلت ما قلت .
هذه الطيبة ليست سذاجة ولكنها عفوية الطبع .

فقد كانت - رضى الله عنها - نبيهةً لماحه ، إذ شعرت منذ اللحظة
الأولى التى دخلت بها "عائشة" - رضى الله عنها - بيت النبوة حب
رسول الله (ﷺ) لعائشة ، فأثرت "سودة" أن تكون أمّاً لعائشة وليست
ضرةً .

فأحاطتها برعايتها والسهر على راحتها والتقرب منها ، رغم وجود
ضرائر بعد ذلك .

وكانت قسمتها من رسول الله (ﷺ) شأن غيرها من أزواجه من
مبيت ونفقة .

وأراد (ﷺ) أن يعفيها من حرمان القلب والعاطفة فيطلقها ،
فتعلقت به وقالت : (أمسكنى . . . فوالله ما بى على الأزواج من
حرص ولكن أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك .

وأضافت : (أبقينى يا رسول الله ، وأهب ليلتى لعائشة وأنى لا أريد ما تريد النساء) ^(١) وليس أوفى من رسول الله (ﷺ) ، وقد رُق لها . وعاشت "سودة" - رضى الله عنها - حتى وافت المائة عام ، فكانت وفاتها فى آخر خلافة سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - رضى الله تعالى عن أم المؤمنين "سودة بنت زمعه" وأكرم مثواها

(١) صحيح مسلم .

عائشة بنت أبى بكر (رضى الله عنها)

- ❖ معلّمة الرجال والأجيال
- ❖ الصديقة بنت الصديق
- ❖ لم يتزوج رسول الله (ﷺ) بكرةً غيرها
- ❖ المفترى عليها . . . والمبرأة من السماء
- ❖ فى حجرتها مثوى رسول الله (ﷺ)
- ❖ قال رسول الله (ﷺ) : [لا تؤذوننى فى "عائشة" فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها^(١)].

خطبها رسول الله (ﷺ) وهى ابنة سبع فى مكة ، وقيل إنه أرى صورتها فى سرقة^(٢) من حرير ، وقيل له : هى زوجتك فى الدنيا والآخرة .

(١) فى الصحيحين .

(٢) السرقة : قطعة القماش

ورغم صغر سنها وميلها إلى اللهو والمرح كانت حادة الذكاء غاية في النباهة .

كانت مخطوبة إلى " جبير بن مطعم بن عدى " ، فلما خطبها رسول الله (ﷺ) أراد " ابو بكر " - رضى الله عنه - أن لا يجيب بالإيجاب حتى يراجع " المطعم " ، فلما تيقن من عزوفه بسبب الإسلام وافق على خطبة رسول الله (ﷺ) وقد ارتاحت نفسه .

وتمت الخطبة وأصدقها رسول الله (ﷺ) خمسمائة درهم .
وقال (ﷺ) لأمها " أم رومان " : " يا " أم رومان " استوصى بعائشة خيراً واحفظينى فيها) .

وكانت " أم رومان " - رضى الله عنها - صحابيةً جلييلة من السابقات إلى الإسلام ، وكانت وفاتها فى المدينة فى حياة رسول الله (ﷺ) ، وقد نزل فى قبرها واستغفر لها وقال : (من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان) ^(١) .

بعد الهجرة ، وقد استقر مقام رسول الله (ﷺ) فى المدينة بعث مولاه " زيد بن حارثة " إلى مكة ليصطحب بنات الرسول ، ومعه رسالة من " أبى بكر " - رضى الله عنه - إلى ابنه " عبد الله " يطلب إليه فيها أن يلحق به مصطحباً زوجته " أم رومان " وابنتيه " أسماء " و " عائشة " وكان مع " زيد أبورافع " مولى النبى (ﷺ) فحضروا جميعاً .

(١) كانت وفاتها بعد محنة الإفك

وانشغل النبي (ﷺ) شهوراً في شؤون الدعوة ، فقد وضع دستور المدينة ، وعاهد يهود ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، - وابتنى المسجد النبوي الشريف ، وحجرات أهله حوله .

وذكرت " أم رومان " " أبا بكر " بخطبة " عائشة " وقد مضى على ذلك ثلاث سنين ، فأتى رسول الله (ﷺ) وقال : ألا تريد أن تبني بأهلك يا رسول الله؟

ومن ثم كان الزواج .

وتصف لنا أم المؤمنين " عائشة " - رضی الله عنها - يوم عرسها فتقول : (جاء رسول الله (ﷺ) بيتنا فاجتمع اليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني أمي وأنا في أرجوحة بين عزقين فأنزلتني ، ثم سوت شعري ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى إذا كنت عند الباب وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي ، ثم أدخلتني ورسول الله (ﷺ) - جالس على سرير في بيتنا ، فأجلستني في حجره وقالت : هؤلاء أهلك . فبارك الله لك فيهن ، وبارك لهن فيك) وكانت " عائشة " رضی الله عنها كما وُصفت عروساً حلوة ، خفيفة الجسم ، ذات عينين واسعتين وشعر جعد ، ووجه مشرق مشرب بالحمرة .

وانتقلت إلى البيت الجديد ، ولم يكن سوى حجرة من الحجرات التي شيدت حول المسجد ، من اللبن وسعف النخل ، فيه فراش من أدم حشوه ليف ، ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير ، وعلى فتحة الباب ستار من الشعر . ولقد قدر لهذا البيت الشديد التواضع أن يكون منارة عالية تشع علماً ومعرفة وهدى ، ويشغل حيزاً واسعاً من حركة التاريخ .

يقول أحد المستشرقين ^(١) المنصفين : (منذ وطئت قدماها بيت "محمد" كان الجميع يحسون بوجودها ، ولو أن هناك شابة عرفت ما هي مقبلة عليه لكانت "عائشة بنت ابي بكر" فلقد كونت شخصيتها منذ اليوم الأول الذى دخلت فيه دور النبى الملحقه بالمسجد).

لقد كان استعدادها الفطرى للتلقى يتجاوز كل الحدود ، تحفظ كل ما يتلى عليها من كتاب الله ، وتستوعب كل حركة وسكنة عن رسول الله (ﷺ) وتفقه الأحكام ، وتخزن فى واعيتها الشعر والأخبار والآثار، وكذلك الأنساب .

ومرت بتجارب قاسية ومريرة ودخلت عليها الضرائر واحدة تلو الأخرى ، ورغم معرفتها بمكانتها عند زوجها الحبيب ، وأنها الأثرة المفضلة ، فقد وقعت تحت تأثير العوامل الأثوية - ولا حول لها فى ذلك ولا قوة - !! .

أخذتها الغيرة ^(٢) واستبدت بها ، فكانت مع "حفصة بنت عمر" و"سودة بنت زمعة" جبهة نسوية تجاه الأخريات : (أم سلمة - وزينب بنت جحش - وصفية بنت حيى وجويرية بنت الحارث - ومارية - رضى الله عنهن جميعاً) . وبدأت الدسائس ^(٣)

(١) "بودلى" فى كتابه (الرسول) (ص : ٩٣ - ١٣٠ من الترجمة العربية) : (محمد فرج) و(عبد الحميد السحار) .

(٢) كان رسول الله (ﷺ) يرى ذلك فيسألها : (أغرت ؟) فتقول : (ومالى أن لا يغار مثلى على مثلك ؟)

(٣) يرجى مراجعة التفاصيل فى كتب السيرة

ولم يكن رسول الله (ﷺ) ليشغل نفسه وذاته الشريفة بهذه الأمور ،
 فالدعوة وهمومها أكبر بكثير من كل ذلك ، حتى إذا استفحل الأمر
 وانتشر اعتزلهن جميعاً مدة شهر بتمامه فجز عن لذلك وراج بين الناس
 أن رسول الله (ﷺ) قد طلق نساءه ، وكان "عمر" -رضي الله عنه- أشد
 الأصهار خوفاً ، من أن يكون الخبر صحيحاً ، فسعى إلى لقاء النبي (ﷺ)
 (واستفسره فصد عن اللقاء أولاً وبعد إلحاح سمح له ، ثم خرج من
 حضرة النبي (ﷺ) مطمئناً .

لم يطلقهن (ﷺ) - ولكنه خيرهن - كما أمره الله تعالى وقد تكاثرنَ
 عليه جميعاً بطلب التوسعة في النفقة ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ
 لَّا زَوْجَكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
 فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨﴾
 وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ
 أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ
 مَنْ يَأْتِي مِنْكُنَّ بِفَلْحَشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ
 ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ
 مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُوتْهَا أَجْرَهَا
 مِثْرَتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ
 لَسِتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ
 بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا
 مَعْرُوفًا ۝٣٢﴾ وَقِيرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّ
 الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ
 وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٤﴾ وَاذْكُرْنَ
مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ (الأحزاب : ٢٨ - ٣٤) . ولقد اخترن
جميعهن الله ورسوله !

ويهمنا جواب - عائشة - الصديقة إذ قالت : (أفى الله ورسوله
تخيرنى يا رسول الله !!) .

إذ ارتفع إيمانها وإسلامها عن ماديّات الحياة وعن سفاسف الرغبات
الانثوية .

وكانت حادثة الإفك^(١) من أقسى وأعنف ما مرّت به السيدة
"عائشة" - رضى الله عنها - فى حياتها كانت محنة مريرة بالغة
المراة . . . ! روج لها رأس النفاق "عبد الله بن أبى بن سلول" متهماً أم
المؤمنين فى عرضها وشرف البيت النبوى حتى إن فريته ردها بعض
المسلمين من غير تبين .

ومرت أيام طوال على رسول الله (ﷺ) كان فيها شديد الحزن
والأسى . . . !

ولم تعلم أم المؤمنين - رضى الله عنها - بما يشاع ويقال إلا
صدفة . . . ، ووقع ذلك عليها وقوع الصاعقة ولامت أبويها على
كتمانهما الخبر عنها .

ولما جاءها رسول الله (ﷺ) فى بيت أبويها يقول لها : .

(١) القصة طويلة روتها "عائشة" - رضى الله عنها - بلسانها "يرجع إليها فى
كتب السير .

(يا "عائشة" إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فاتقى الله وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله فإن الله يقبل التوبة من عباده)

نظرت إلى أبويها تستنطقهما فلم يتكلما . . . وتحيرا . . .
فاتجهت إلى رسول الله (ﷺ) تقول :

(والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى بريئة لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى ولكن سأقول كما قال أبو يوسف^(١) ﴿فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف : ١٨)
وحيث استعانت بالله تعالى . . . استجاب لها . . . !

وأخذ الوحي يتنزل على رسول الله (ﷺ) فسُجِّي في ثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه ، ثم سُرِّي عنه فالتفت الى "عائشة" وقال :

(أبشرى يا "عائشة" فقد أنزل الله براءتك . . .) وتلا عليها آيات سورة النور (النور : ١١-١٩) وطلبت اليها "أم رومان" أن تقوم وتقبل رأس رسول الله (ﷺ) فقالت : (والله لا أقوم اليه فإنى لا أحمد إلا الله عز وجل ، هو الذى أنزل براءتي) .

وعادت الحصان الرزان إلى بيتها - حبرتها - معززة مكرومة مبرأة من عند الله تعالى ، وعادت إلى مكانتها ومنزلتها .

(١) يعقوب عليه السلام حاولت أن تذكر اسمه فلم تسعفها الذاكرة فى الموقف الحرج .

بعد حجه (ﷺ) بأشهر قلائل^(١) وفى أواخر شهر صفر سنة عشرة
من الهجرة أرق ذات ليلة فخرج إلى البقيع يحبى الراقين ويستغفر لهم
على عادته ولما عاد وجد "عائشة" تشكو صداعاً وتقول وا رأساه فقال
(ﷺ): (بل أنا والله يا "عائشة" وا رأساه!!!)
وكانت تلك بداية الحمى التى نزلت به (ﷺ) وأذنت بوفاته وانتقاله
إلى الرفيق الأعلى .

وكان من عادته (ﷺ) أن يمر كل صباح بزوجاته ليطوف عليهن
ويؤانسهن ويتفقد أحوالهن فلما كان فى بيت "ميمونة بنت الحارث" -
رضى الله عنها - ثقل به الوجع فقعد واجتمعت أمهات المؤمنين حوله
وقد تسارعن اليه وأخذ (ﷺ) يردد : (أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً)
فأدركن رغبته فقلن جميعاً :

(يا رسول الله . . . قد وهبنا أيامنا لعائشة)
وانتقل "ﷺ" إلى حجرة "عائشة" التى قامت على تمريضه والسهر
على راحته وتخفيف ما يعانيه من ألم المرض وحرارة الحمى . . . !
وكان نساؤه يجتمعن عندها وكذلك أهل بيته "فاطمة" -رضى الله
عنها - وأولادها وكلهم فى اشفاق ولهفة وحسرة حتى كانت لحظة
الفراق والوداع . . . !

تقول "عائشة" -رضى الله عنها - واصفة تلك اللحظة الرهيبة :
(وجدت رسول الله (ﷺ) يثقل فى حجرى فذهبت أنظر إلى وجهه
فإذا بصره قد شخص وهو يقول : (بل الرفيق الأعلى من الجنة!)

(١) قبل ثلاث أشهر

فقلت : خُيرتَ فاخترت والذي بعثك بالحق . . ! وقبض رسول الله (ﷺ) بين سحري ونحري ا ، فمن سفهى حادثة سنّى أنه (ﷺ) قبض وهو فى حجرى ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتمم مع النساء وأضرب وجهى^(١)

وكان من كرامتها - رضى الله عنها - أن يدفن رسول الله (ﷺ) فى حجرتها تصديقا لما رواه " أبو بكر " رضى الله عنه عن رسول الله (ﷺ) أن الأنبياء يدفنون حيث قبضوا .
وهكذا كان قبره الشريف (ﷺ) أمام ناظريها دائما إلى أن فارقت الدنيا .

وعاصرت رضى الله عنها خلافة أبيها " أبى بكر " وخلافة " عمر " وخلافة " عثمان " رضى الله عنهم وكانت موضع تقدير واحترام وإكرام .

وكان بيتها موئل علم وفضل . . ، ويؤمّه طلاب المعرفة ويحج إليه ذوو الحاجة ، ولقد تربى فى حجرها العددُ العديد من أبناء الصحابة أمثال " عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية " و " عروة بن الزبير " و " القاسم ابن محمد " وغيرهم .

وحدث الاعرج عن إنفاقها من مخصصاتها كأم للمؤمنين فقد كانت تقتصر فى معيشتها على الضرورة وتنفق الباقي فى سبيل الله وابن

(١) تاريخ الطبرى ونحوه فى صحيح مسلم واللدن صوت الحجر يرتطم بالأرض ،
والسحر : الرثة .

السبيل ومما يؤثر عنها انها كانت تطيب الدراهم التى تبذلها بالمسك !!
فلما سئلت عن ذلك قالت :

(لأنها تقع فى يد الله تعالى قبل أن تقع فى يد الفقير)!!
عند استشهاد "عثمان" - رضى الله عنه - اتخذت موقفاً ، نعرضه
ولا نعلق عليه . . !

تألفت مع "الزبير بن العوام" و"طلحة" بن عبيد الله رضى الله عنه
- ضد "على" كرم الله وجهه مطالبين بالاعتصاف من قتلة "عثمان"
على الفور . . !

ومن ثم كانت معركة "الجمل" وانما سميت بذلك لأن "عائشة" -
رضى الله عنها - كانت فى هودج فوق جمل ، وانتهت المعركة بهزيمة
جيش المتحالفين وحرص "على" رضى الله عنه أن لا تمس "عائشة" -
رضى الله عنها - بسوء . . ، وأعيدت إلى "المدينة" مصونة مكرمة .

وآثرت رضى الله عنها أن تبتعد عن كل ما من شأنه أن يمس الحكم
والسياسة لا من قريب ولا من بعيد وتفرغت للعبادة والعلم . . . !
وأضحى بيتها محجة لطلاب الفقه والحديث ، وأقوالها حجة .

يقول الإمام "الزهري" : (لو جمع علم "عائشة" إلى علم جميع
أزواج النبى (ﷺ) وعلم جميع النساء لكان علم "عائشة" أفضل).

وكانت وفاتها رضى الله عنها ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان
سنة سبع وخمسين وقد أتمت السادسة والستين من عمرها ، وصلى
عليها " أبو هريره " - رضى الله عنه - وشيعت جنازتها فى غسق الليل
إلى مثواها فى البقيع على أضواء مشاعل من جريد مغموس فى الزيت
، وسارت الجموع من ورائها باكية فلم تُرَ ليلة أكثر ناساً منها .
رضى الله عنها وأرضاها وأكرم فى الجنة نزلها ومثواها والحقنا بها
فى الصالحين من عباده

حفصة بنت عمر (رضى الله عنها)

- ❖ حافظة كتاب الله تعالى .
 - ❖ الصوامة القوامة .
 - ❖ أرملة الشهيد " خنيس بن حذافة السهمي " .
 - ❖ زوجة رسول الله (ﷺ) في الجنة .
 - ❖ طُلقت ثم ارتجعت بأمر الله تعالى ووحيه .
 - ❖ المتحالفة المتألفة مع " عائشة " .
- كل زواج لرسول الله (ﷺ) كانت له ظروفه ودوافعه ، لم يكن رغبة
فى امرأة بقدر ما كان جبراً لخطر ورحمة وتواصلاً . . . ، وعليه كان
زواجه من " حفصة بنت عمر " - رضى الله عنهما -

و "حفصة" مؤنث "حفص" الذى هو أحد أسماء الأسد ، ولذا كان (ﷺ) يكنى "عمر" بأبى حفص على الترخيم^(١) كما كان ينادى "عائشة" - رضى الله عنهما - يا عائش .

ولدت "حفصة" - رضى الله عنها - قبل البعثة النبوية الشريفة بخمسة أعوام ، وأسلمت مبكرة حين أسلم أبوها ، وتزوجت من "خنيس بن حذافة السهمي" بعد رجوعه من الحبشة التى هاجر إليها مع الرعيل الاول ، ثم هاجرت معه إلى المدينة

شهد "خنيس" "بَدْرًا" وأبلى فيها بلاءً حسناً ثم شهد "أحدًا" فأصيب يومها بجراح ما لبث ان استشهد على أثرها ، وكان نعم الزوج الصالح للزوجة الصالحة .

ترملت "حفصة" مبكرة ، إذ كانت فى العشرين من عمرها ، فكان أبوها "عمر" - رضى الله عنه - يرق لها ويحن لأساها ، ودمعها الذى لا يجف على رفيق حياتها ، ويرغب فى زوج لها يعوضها عما بها . وكان "الصدِّيق" - رضى الله عنه - أقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه بعد رسول الله (ﷺ) فأتاه وعرض عليه الزواج من "حفصة" ، فسكت "أبو بكر" ولم يجب ، لا سلباً ولا إيجاباً فظن ، "عمر" - رضى الله عنه - ان "أبا بكر" يرفض الزواج من "حفصة" فوجد فى نفسه عليه .

(١) الترخيم - فى اللغة - التليين ، وقيل الحذف منه ترخيم الاسم فى النداء وهو ان يحذف من آخره حرف أو أكثر

وكان "عثمان بن عفان" - رضى الله عنه - حديث عهد بترمل بعد وفاة زوجته "رقية" - رضى الله عنها - بنت رسول الله (ﷺ) وأتاه عمر وعرض عليه "حفصة" معتقداً أن فى ذلك مواساة له فاستمهلها عثمان اياما ، فرآه بعدها ، فقال "عثمان" : ما أريد أن أتزوج اليوم .

وأحس "عمر" من بالمهانة تجرح كبريائه ، وما ادراك ما كان عليه الفاروق من اعتزاز بشخصيته ، ولم يجد من يواسى هذه الجراح إلا رسول الله (ﷺ) فجاءه ثائرا غاضبا ، شاكيا صاحبيه الصديق وعثمان ، فلاطفه النبى (ﷺ) وهش له وأقعه إلى جانبه ، ثم قال له : (يا "عمر" . . يتزوج "حفصة" من هو خير من "عثمان" ويتزوج "عثمان" من هى خير من "حفصة")

وأشرقت نفس "عمر" بالآمال ، وقد أدرك مغزى هذه التورية ، فقام إلى النبى (ﷺ) مصافحاً ، وقد هدأت نفسه وأطمأن فؤاده ، وخرج من عنده والفرح يملأ عطفه .

فسيكون "عمر" منذ اليوم ليس الصاحب فقط ، بل الصهر لرسول الله (ﷺ)

وعند الباب لقيه "أبو بكر" - رضى الله عنه - فاستوقفه وعلم منه ما كان ، وقال له : (لا تجد "على" يا "عمر" ، فإن رسول الله (ﷺ) ذكر "حفصة" فلم أكن لأفشى سرّاً لرسول الله ، ولو تركها لتزوجتها)

وتم زواج رسول الله (ﷺ) من "حفصة" - رضى الله عنها - فى شهر شعبان من السنة الثالثة من الهجرة ، ودخلت بيت النبوة أمّاً للمؤمنين .

وكان بين "عائشة" و"حفصة" بادئ الأمر نوع من التنافس ، بدافع الغيرة والفطرة النسوية ولكن كلا منهما بعد فترة تألفت وتعاونت وتصادقت ، وكونتا جبهة تجاه الضرائر الأخريات اللواتى تكاثرن فى بيت النبوة .

وكان "عمر" - رضى الله عنه - يعرف ما فى طبيعة خلق "حفصة" من حدة وعنف ، فكان يخشى عليها من الانزلاق فى تيار "عائشة" فكان يقول لها : (أين أنت من "عائشة" ؟ وأين أبوك من أبيها؟) محذرا اياها من غضب الله وغضب رسول الله .

وذات يوم سمع من زوجته أن "حفصة" تراجع رسول الله (ﷺ) حتى يظل يومه غضبان فأتاها يسألها عن صحة ذلك ، فأجابته بالإيجاب ، فاستشاط وقال : (تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسول الله ، يا بني لا يغرنك هذه التى اعجبها حُسْنُها وحب رسول الله اياها ، والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ، ولولا أنا لطلقك)

ويروى أن "عائشة" و"حفصة" قد اتفقتا على أن تقلن قولاً واحداً فى شرب العسل الذى تسقيه اياه "زينب بنت جحش" (ﷺ) فيقلن أن فى فيه (ﷺ) رائحة مغاير^(١) وأن هذا العسل رعت لحله العرفط^(٢) .

فلما قالت "حفصة" ذلك صرَّح لها بأنه قد شرب العسل عند "زينب" وأنه لن يعود إلى ذلك ، وحرمه على نفسه واستكتمها .

(١) المغاير : ثمر حلو كريه الرائحة وكان (ﷺ) لا يطبق الرائحة الكريهة .

(٢) العرفط : ثمر المغاير

فأنزل الله تعالى قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) قد فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿التحریم : ٢-١﴾

لكن - حفصة - لم تكتف السر بل أذاعته ، فعاتبها رسول الله عتابا شديدا وكشف كل ما كان منها ومن "عائشة" وطلقها ، وقد نبأه الله تعالى بما فعلت وقبل أن تنشر الخبر ، يقول تعالى : ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُمْ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٢) ان تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿١﴾ عَسَى رَبُّهُ أَنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَسَبَّحُنَّ غَدَاتٍ سَبَّحْتِ ثِيَابًا وَابْنَتَاكِ وَأَبْكَارًا﴾ (التحریم : ٣-٥) .

واهتزَّ كيَّان "عمر" وزلزل زلزالا شديدا ، فكان يردد : (ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها) .

ويروى بأن "جبريل" - عليه السلام - نزل في الغد على رسول الله (ﷺ) وقال له : (إن الله يأمرك أن تراجع "حفصة" رحمة بـ "عمر") . وفي رواية أخرى : (أرجع "حفصة" فإنها صوامة قوامه ، وأنها زوجتك في الجنة) .

فراجعها رسول الله (ﷺ) وأعادها إلى عصمته ، وردت الروح إلى "عمر" بعد أن كادت تزهق .

بعد أن انتقل رسول الله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى كانت "حفصة" رضى الله عنها هي التي اختيرت من بين أمهات المؤمنين جميعاً لتحفظ النسخة الخطية للقرآن الكريم .

ذلك أن "عمر" - رضى الله عنه - أشار على "أبى بكر" - رضى الله عنه - أن يبادر فيجمع ما تفرق من القرآن الكريم فى صحف شتى قبل أن يبعد العهد بنزوله ، ويمضى حفظه الأولون ، وقد استشهد منهم المئات فى حروب الردة .

واستجاب "الصدىق" ، فجمع المصحف الكريم ، وأودعه عند أم المؤمنين "حفصة" - رضى الله عنها - .

فبالإضافة إلى كونها - رضى الله عنها - صوامة قوامه ، عابدة متبته ، كانت قارئة كاتبة ، حافظة لكتاب الله تعالى ، واعية لما استؤمنت عليه .

فلما كانت خلافة "عثمان" - رضى الله عنه - استخرجت النسخة وخطت فى مصحف واحد ، ونسخت منه سبع نسخ بلهجة قريش وزعت على الأمصار .

وتمضى السنون بأم المؤمنين "حفصة" حتى خلافة "معاوية بن أبى سفيان" ، وفى سنة سبع وأربعين توفاه الله تعالى إليه ، واختارها إلى جواره ، ودفنت بالبقيع .

رضى الله عنها وأرضاها وأنزلها منزلها فى الفردوس الأعلى ، وأكرم مثواها .

زينب بنت خزيمة (رضى الله عنها)

- ❖ أم المساكين وأم المؤمنين .
 - ❖ أرملة الشهيد^(١) .
 - ❖ ماتت في حياة رسول (ﷺ) .
 - ❖ أول من دفنت بالبقيع من أمهات المؤمنين .
- هى : " زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال ابن عامر بن صعصعة " الهلالية .
- وأُمها " هند بنت عوف "^(٢) كان يقال فيها : (ولا يعلم امرأة فى العرب كانت أشرف أصهاراً من هند بنت عوف ، أم ميمونة وأخواتها)^(٣) .
- فـ " زينب " رضى الله عنها أخت أم المؤمنين " ميمونة بنت الحارث " الهلالية لأُمّها .

(١) الراجح أنه " عبّدة بن الحارث بن عبد المطلب " ابن عم النبى (ﷺ)
(٢) " هند بنت عوف بن الحارث بن حمّاطة " - الحميرية - .
(٣) (الإصابة) ، و (المحبر) ، (١٠٥ - ١٠٩) .

وكذلك "أسماء بنت عميس" - رضى الله عنها- زوجة "جعفر بن أبى طالب" - رضى الله عنه - .

اختلفت الأقوال فى زوجها فقيل : كانت عند "الطفيل بن الحارث ابن عبد المطلب" ، فلما مات خلفه عليها أخوه "عبدة بن الحارث بن عبد المطلب" ، وبعد استشهاد خطبها رسول الله (ﷺ) .

وقيل : كانت عند "جهم بن الحارث الهلالى" قبل "عبدة" .
وقيل : بل كانت عند "عبد الله بن جحش" ، وبعد استشهاد فى "أحد" خلفه عليها رسول الله (ﷺ) .

كما اختلف أيضاً فى مَنْ تولى زواجها من رسول الله (ﷺ) .
فقيل : إن رسول الله (ﷺ) خطبها إلى نفسها ، فجعلت أمرها إليه فتزوجها .

وقيل : زوجه إياها عمُّها : "قيصة بن عمرو الهلالى" ، وأصدقها رسول الله (ﷺ) أربعمئة درهم .

واختلفوا أيضاً فى المدة التى أقامت زوجة لرسول الله (ﷺ) وأما للمؤمنين ، ولم يختلفوا فى وفاتها عنده .

قال بعضهم : أقامت عنده (ﷺ) ثمانية أشهر ، ثم توفيت .
أما أكثرهم فقالوا : أقامت عنده (ﷺ) ثلاثة أشهر ، ثم اختارها الله تعالى إلى جواره .

ولا خلاف فى أن زواجه (ﷺ) من "زينب بنت خزيمة" كان بعد استشهاد زوجها ، سواء كان ذلك الزوج هو "عبدة بن الحارث" أو "عبد الله بن جحش" .

ومن نافلة القول أن نكرر بأن الزواج من أرملة الشهيد كان عرفاً متبعاً يحمل معنى الوفاء والتكريم للشهيد ، لإيناس الأرملة .
والأشهر القليلة - سواء كانت ثمانية أو ثلاثة - التي أقامت في بيت النبوة كستة حلة فاخرة ، ولقباً تشرف به ، وهو " أم المؤمنين " .
وأيضاً فقد كان لها لقب ذاتي آخر أنعم الله تعالى عليها به هو " أم المساكين "

إذ كانت - رضى الله عنها - تتصف بالطيبة والكرم ، والعطف على الفقراء " المساكين " فلا يكاد يذكر اسمها في أى كتاب من كتب السير والتاريخ إلا مقروناً بهذا اللقب الكريم .
قال ابن هشام فى السيرة : (وكانت تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم) .

وقال " ابن حجر " فى " الإصابة " و " ابن عبد البر " فى " الاستيعاب " : (كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم)^(١)

وكانت وفاتها - رضى الله عنها - فى الثلاثين من عمرها ، فى السنة الثالثة من الهجرة .

وصلى عليها رسول الله (ﷺ) ودفنها بـ " البقيع " واسترحم لها واستغفر ، فكانت أول من دفن من أمهات المؤمنين فيه .
رضى الله عنها وأرضاها جزاء ما أسلفت من خير وبرٍ ورحمة ، وألحقنا بها فى الصالحين من عباده .

(١) وكذلك فى تاريخ الطبرى و " شذرات الذهب "

هند بنت أبى أمية (رضى الله عنها)

- ❖ أم سلمة ، وأم المؤمنين .
 - ❖ بنت " زاد الراكب " .
 - ❖ الحسنة الأبية الفطنة . .
 - ❖ ذات الهجرتين .
 - ❖ صاحبة المشورة ومعدن الرأى الصائب .
- أدوار عديدة ، وفصول متعددة مرت بها حياة " هند " - أم سلمة -
رضى الله عنها . . ، كانت تترقى بها إلى العلو ، حتى بلغت السماك ،
فكانت أمّاً للمؤمنين .
- أسلمت " هند بنت أبى أمية بن المغيرة " - المخزومى - مبكرة مع
زوجها " عبد الله بن عبد الأسد " - المخزومى - ابن عمه رسول الله (ﷺ) :
" برة بنت عبد المطلب " وأخوه من الرضاعة ، إذ أرضعتُهُما " ثويبة
مولاة " أبى لهب " .
- وكان أبوها يلقب بـ " زاد الراكب " إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه
ومعه زاد ، بل يكفى رفقته جميعاً .

هاجرت - رضى الله عنها - مع زوجها إلى الحبشة فراراً من ظلم قريش وبطشها وجبروتها ، وتحملت أنواع الأسى والجهد والحزن راغبة إلى الله تعالى .

ثم عادت مع زوجها إلى " مكة " حين بلغهم إسلام " عمر بن الخطاب " ، مع من عاد .

فلما كانت " بيعة العقبة " ، وأذن رسول الله (ﷺ) لأصحابه بالهجرة إلى المدينة ، كان زوجها أول من هاجر بأهله .

ولكن . . . لم يتم له ما أراد وتمنى ، فقد لحق به " بنو المغيرة " قوم " هند " فى ضواحي مكة فاستعادوها منه وتركوه يمضى وحده ، كما تنازعوا مع " بنى عبد الأسد " قوم " أبى سلمة " على الطفل " سلمة " ، وتجادبوه حتى خلعوا كتفه .

وفرق بين الزوج وزوجته وولدهما

وبقيت - رضى الله عنها - فى " مكة " نحو عام محبوسة لا يرقأ لها دمع ولا تجف لها عبرة ، حتى رق لها بعض أهلها ، فقالوا لها : إلحقى بزوجك إن شئت .

فخرجت ومعها طفلها " سلمة " وحيدة تريد " المدينة " ، ولكن قيض الله تعالى لها رجلاً شهماً هو " عثمان بن طلحة " ^(١) فأبى عليها - وقد رثى لحالها - أن تغامر وتحاطر ، فصحبها حتى بلغ بها " قباء " ثم عاد .

(١) كان على شركه ، ثم أسلم بعد الحديبية ، وهاجر مع خالد بن الوليد وعمر بن العاص إلى المدينة .

ولم يعرف تاريخ الهجرة وظروفها ووقائعها مأساة كالذى حدث
لأسرة "أبى سلمة" .

واضطلع "أبو سلمة" رضى الله عنه بقسط كبير من مسؤولية الجهاد
فى سبيل الله ، جندياً وأميراً ، فى الغزوات والسرايا .

وأصيب يوم "أحد" بسهم فى عضده سبب له جرحاً بليغاً تداوى
منه فترة ، وظن أنه التأم . وخرج فى سرية قائداً لها ، بأمر رسول الله
(ﷺ) إلى "بنى أسد" ، وعاد منصوراً . . ولكن جرحه انتكأ وعاد
ينزف ، وأقعه عن الحركة ، ومازال يعانى حتى قبضه الله إليه .

وحضره رسول الله (ﷺ) وهو على فراش موته ، وبقي إلى جانبه
يدعو له بالخير حتى مات ، فأسبل بيده الكريمة عينيه .

وكان أبو سلمة - رضى الله عنه - يدعو قبيل وفاته : (اللهم أخلفنى
فى أهلى بخير) وكانت "أم سلمة" تسمعه ، ولا تدرك أبعاد تلك
الدعوة ، حتى خطبها رسول الله (ﷺ) .

صلى عليه رسول الله (ﷺ) وكبر تسع تكبيرات^(١) . . ! ، فقل له :
يا رسول الله أسهوت أم نسيت ؟

فقال : (لم أسه ولم أنس . . ، ولو كبرت على "أبى سلمة" ألفاً
كان أهلاً لذلك)^(٢)

بعد تمام عدة أم سلمة تقدم "الصدیق" - رضى الله عنه - لخطبتها ،
فرفضت فى رفق ، وكذلك تقدم "الفاروق" - رضى الله عنه - فأجابته
بمثل ما أجابت به صاحبه .

(١) تكبيرات صلاة الجنازة أربع تكبيرات .

(٢) أورد ذلك الإمام الطبرى فى تاريخه (١٧٧/٢) .

ثم بعث إليها النبي (ﷺ) يخطبها . . فتخرجت ، ثم اعتذرت بأنها ذات غيرة . . ، وأنها مُسنّة . . ، وأنها ذات عيال . . ، وكانت قد أنجبت من " أبى سلمة " ، أولادها : (سلمة - وزينب - وعمر - ودرة) .
فأجابها (ﷺ) : (أما أنك مسنة فأنا أسن منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك ، وأما العيال فيلى الله ورسوله)

وتم الزواج فى شهر شوال سنة أربع من الهجرة . . . ، وتذكرت " أم سلمة " حينئذ دعاء " أبى سلمة " : (اللهم اخلفنى فى أهلى بخير) فرسول الله (ﷺ) وحده فقط خير من " أبى سلمة " .

ودخلت " أم سلمة " مع أولادها فى كنف رسول الله (ﷺ) ، وخلفت " أم المساكين " فى حجرتها وكانت - رضى الله عنها - رغم سنها ما تزال تستمتع بقسط وافر من الحسن .

تقول السيدة " عائشة " - رضى الله عنها - :

(لما تزوج رسول الله (ﷺ) " أم سلمة " حزنت حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها ، فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيت أضعاف ما وصفت به)^(١) .

وتربى أولاد " أبى سلمة " فى حجر النبي (ﷺ) يرعاهم ويحنو عليهم ويغدق عليهم من عطفه ، حتى عُدُّوا من أهل البيت .

كانت السيدة " عائشة " - رضى الله عنها - تباهى ضرائرها بأن الوحي على رسول الله (ﷺ) كان ينزل فى بيتها ، فلما تزوج ب - أم سلمة - قاسمتها ذلك الشرف ، وذلك لما أوحى به إليه (ﷺ) عن " أبى

(١) طبقات (ابن سعد) .

لبابة " بشير بن عبد المنذر " حين استشاره " بنو قريظة " فأشار عليهم ، واعتقد أنه تهور مسرعاً دون رسول الله (ﷺ) ، ونذر أن يربط نفسه إلى سارية من سواري المسجد ، حتى يتوب الله عليه (٢) .

ونزل قول الله تعالى في سورة التوبة : ﴿وَأَخْرُوجُوا عَنْكُمْ وَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الآية : ١٠٢) .

وكان ذلك في بيتها - رضى الله عنها - وسمعت رسول الله (ﷺ) يتلو الآية الشريفة ، ويقول : (لقد تيب على أبى لبابة) .

فقال مستبشرة : أو لا أبشره يا رسول الله !! ؟ فقال (ﷺ) : بلى . . . إن شئت .

ويوم " الحديبية " وقد لجت القضية ، وأبرم العهد بين رسول الله (ﷺ) وبين " سهيل بن عمرو " ممثلاً - قريش ، أراد رسول الله (ﷺ) أن يتحلل من إحرامه فينحر هديه ويحلق رأسه ، وأمر أصحابه بذلك ، ولكنهم لم يستجيبوا ، فحزن لذلك ودخل خيمة " أم سلمة " شاكياً ، فقالت - رضى الله عنها - : (أتحب ذلك ؟ أخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك)

فاستجاب (ﷺ) لمشورتها ، فلما رأى أصحابه منه ذلك بادروا إلى النحر والحلق والتقصير وتزاحوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً .
ويروى أنها رضى الله عنها - رافقته يوم " خيبر " وفتح مكة " وحصار " الطائف " وكذلك في غزوة " هوازن " و " حجة الوداع " .

(٢) يرجى مراجعة ذلك بتفاصيله في كتب السيرة .

وبعد وفاته (ﷺ) كانت " أم سلمة " موضع تكريم خلفائه من بعده واحترامهم وتقديرهم ، لمكانتها عند رسول الله (ﷺ) ومنزلتها بين أمهات المؤمنين ، والصحابة أجمعين .

ولما كانت الفتنة بين " على " وطلحه " والزبير " وعائشة " - رضى الله عنهم - مالت " أم سلمة " إلى " على " - كرم الله وجهه ، وعابت " عائشة " أشد المعاتبة وحذرتها من الخروج ، وقالت : (أى خروج هذا الذى تخرجين ؟ الله من وراء هذه الأمة !! لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لى : أدخلى الفردوس ، لأستحييت أن ألقى " محمداً " هاتكة حجاباً قد ضربه على) .

وعاشت - رضى الله عنها - إلى خلافة " يزيد بن معاوية " وكانت وفاتها سنة إحدى وستين بعد أن جاؤها بنجر إستشهاد " الحسين بن على " - رضى الله عنهما - والمشهور أنها آخر زوجات النبی (ﷺ) وفاةً .

رضى الله عن " أم سلمة " أم المؤمنين وأجزل مثوبتها ، وأكرم نزلها فى الفردوس الأعلى .

زينب بنت جحش (رضى الله عنها)

- ❖ الشابة الشريفة الحسنة ؛ وأم المؤمنين .
- ❖ بنت عمّة رسول الله (ﷺ) : " أميمة بنت عبد المطلب " .
- ❖ زوجها الله تعالى لرسوله بأمر من السماء .
- ❖ رافق زواجها أحكام وتشريع وإبطال لعرف جاهلي .
- ❖ غير رسول الله (ﷺ) إسمها من " برة " إلى " زينب " .
- ❖ قالت عنها " عائشة " - رضى الله عنها - : (لم أر امرأة قط خيراً فى الدين من " زينب " ، وأتقى الله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى يتصدق به ويتقرب إلى الله عز وجل)^(١)

هى : " زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر " الأسدية ، أخت " عبد الله " و " عبید الله " أبى أحمد^(٢) و " حمّة " ، وأمهم " أميمة بنت عبد المطلب " عمّة رسول الله (ﷺ) .

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

(٢) سيأتى ذكر " عبید الله " عند الحديث عن " أم حبيبة " أم المؤمنين - رضى الله عنها .

أسلمت مبكرة مع أهلها - أخواتها وإخوانها وأمه - وكانت شديدة
 الفخر بجمالها ونسبها ، فرفضت العديد من الخطاب متباهية متعالية .
 وفى المدينة بعد الهجرة ، وقد بلغ " زيد بن حارثة " - رضى الله
 عنه - سن الزواج ، وكان من قبل ربيباً ومولى لرسول الله (ﷺ) ، وقد
 تبناه ، ثم جاء الأمر من السماء بإحقاق حقيقة النسب ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ
 لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلْفًا
 تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ
 أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ
 وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ
 اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
 وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ
 وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾
 (الأحزاب : ٤-٥) .

فأبطل عرف التبني الجاهلى ، واشتهر " زيد " بأنه مولى رسول الله (ﷺ)
 وأراد (ﷺ) أن يزوج زيدا " مولاه " ، وكان قد آخاه مع عمه " حمزة " ،
 فاختار له " زينب بنت جحش " ولكنها وأخاها " عبد الله " كرها هذا
 الاختيار ، وحاولا الاعتراض ، إذ كيف تزف الشريفة إلى مولى من
 الموالى !!؟

وما كان لإسلام ليفرق بين شريف ومولى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
 اللَّهِ أَتَقْلَكُمُ﴾ (الحجرات : ١٣) .

ومازالا يراجعان رسول الله (ﷺ) فى هذا الاختيار إلى أن نزل قول
 الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ

وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ (الأحزاب : ٣٦). فأذعنا لأمر الله ورسوله ، وتزوج زيد بـ " زينب " .

لكن " زينب " من حيث تكوينها النفسى والوراثى ظلت تنظر إلى " زيد " من عل ، ولقد عانى - رضى الله عنه - المعاناة الشديدة الدائمة من سوء معاملته " زينب " له ، فكان يشكو إلى رسول الله (ﷺ) طالباً فراقها ، فيثبته (ﷺ) ويدعوه إلى الاستمرار ويقول له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب : ٣٧).

وبالإضافة إلى قطع دابر الفروق الجاهلية وإبطال دعاويها بتزويج الشريفة من المولى . كذلك أبطل الإسلام بهذا الزواج عرف التبنى الذى كان سائداً .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكَى لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ لِّأَزْوَاجِ الَّذِينَ ادَّعَىٰ بِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب : ٣٧)

ولابد من تشريع آخر وثيق الصلة بالتبنى .

فقد كان العرف الجاهلى يقضى بأن لا يتزوج المتبنى بزوجة المتبنى بعد طلاقها أو فراقها . فلا التبنى عدل وقسط ولأما يلحق به من عرف موروث . وعليه ، فقد تم طلاق " زينب " من " زيد " ، وتزوجها رسول الله (ﷺ) .

أما ما ذهب إليه بعض المفسرين ، وذوو الأغراض والأهواء - والمستشرقون - من تحميلات وتأويلات وربط كل ذلك بهوى قديم فى

نفس رسول الله (ﷺ) فمآله إلى النفي ، فالأحكام والتشريعات لا تخضع لهوى الأنفس ، إطلاقاً .

وبشرت " زينب " بما أوحى الله تعالى به لرسوله (ﷺ) من خطبتها - بعد طلاقها من " زيد " وإنقضاء عدتها - ، فتركت ما كان بيدها مما يشغلها ، وقامت تصلى لربها شاكراً حامدة^(١) .

وكانت وليمة العُرس حافلة مشهورة ، إذ ذبح المصطفى (ﷺ) شاة ، وأمر مولاه " أنس بن مالك " أن يدعو الناس إلى الوليمة ، فترادفوا أفواجاً ، يأتى فوج ثم يخرج ، ثم يدخل فوج آخر .

ولكن بعضاً من الضيوف استأنس بهم المقام فأطالوا ، وقد ثقل ذلك على رسول الله (ﷺ) ، ثم انصرفوا ، بعدها أسدل النبي (ﷺ) ستر

الباب ، وأنزلت آية الحجاب وأدب الزيارة إلى بيت النبي (ﷺ) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾
(الأحزاب : ٥٣)

وهذا تشريع آخر رافق زواج " زينب " - رضى الله عنها - وكان زواجها فى السنة الخامسة من الهجرة ، وقد بلغت خمسة وثلاثين سنة .

(١) مسلم فى صحيحه .

ودخلت بيت النبوة على ضرائر ، ولكنها ما فارقتها كبرياؤها .
فكانت تقول لهن : (أنا أكرمكن ولياً ، وأكرمكن سفيراً : زوجكن
أهلكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات) .
أمضت " زينب " - رضى الله عنها - خمس سنوات فى بيت النبوة ،
فكانت مثالا للزوجة الصالحة ، العابدة الخاشعة الأواهة .
وكانت صنّاعة . . . تعمل بيديها . . . وتبذل نفسها فى العمل ،
وتتصدق بما يعود عليها نفقه فى سبيل الله وتقرباً إليه تعالى ، شهدت
لها " عائشة " بذلك .

وقالت عنها أم سلمة رضى الله عنها :-

(كانت " زينب " لرسول الله (ﷺ) معجبة ، وكان يستكثر منها ،
وكانت صالحة قوامه ، صوامه ، صنّاعة . وتتصدق بذلك كله على
المساكين)

وروى عن " عائشة " - رضى الله عنها - أيضاً : (قالت : قال رسول
الله (ﷺ) : " أسرعكن لحاقاً بى أطولكن يداً " فكنّا إذا اجتمعنا فى بيت
إحدانا - بعد وفاة رسول الله - نمد أيدينا فى الجدار نتناول ، فلم نزل
نفعل ذلك حتى توفيت " زينب بنت جحش " ولم تكن بأطولنا ،
فعرفنا حينئذ أن النبى (ﷺ) أنما أراد طول السيد بالصدقة ،
وكانت " زينب " امرأة صنّاع اليدين ، تدبغ وتخرز ، وتتصدق فى
سبيل الله^(١))

(١) السمط الثمين (ص: ١١٠) والاستيعاب : ١٨٥١ / ٤ ، والإصابة (٨ / ٩٣) .

كما يروى أن "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه - . فى خلافته أرسل إليها عطاءها اثنى عشر ألفاً ، فجعلت تقول : (اللهم لا يدركنى هذا المال فى قابل ، فإنه فتنة)^(١)

ثم قسمته فى أهل رَحْمِها وفى أهل الحاجة ، فبلغ "عمر" ذلك ، فوقف ببابها وأرسل إليها بالسلام وقال : بلغنى ما فرقت ، فَأُرْسِلُ ألف درهم تستبقينها .

وأرسل الألف . فتصدقت بها جميعاً ، لم تُبق منها درهماً وفى سنة عشرين من الهجرة حين حضرتها الوفاة قالت : (إنى قد أعددت كفى ، وإن عمر - أمير المؤمنين - سيعث إلى بكفن ، فتصدقوا بأحدهما ، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوى^(٢) فافعلوا . .)

وصلى عليها أمير المؤمنين "عمر" وشيعها مع أهل المدينة إلى "البقيع" ، وكانت أول زوجاته (رضي الله عنها) ، لحاقاً به . رضى الله عن أم المؤمنين "زينب بنت جحش" وأرضاها ورفع فى الجنة منزلتها ، وحشرنا معها تحت لواء المصطفى (ﷺ) ، وسقانا من حوضه الشريف شربةً لانظماً بعدها أبداً .

(١) أخرجه مسلم بلفظ مقارب .

(٢) الحقو : الإزار .

جويرية بنت الحارث (رضى الله عنها)

- ❖ المصطلقية بنت سيد قومه " الحارث بن أبي ضرار " .
 - ❖ الأسيرة التي أكرم الله بها قومها حين تزوجها رسول الله (ﷺ) .
 - ❖ كان اسمها " برة " فسمّاها رسول الله (ﷺ) : " جويرية " .
 - ❖ لاذت به (ﷺ) فاستجاب لها وأكرم سؤلها .
 - ❖ قضى عنها كتابتها وأصدقها أربعمئة درهم .
 - ❖ سابعة أمهات المؤمنين .
- فى السنة السادسة من الهجرة - بعد الأحزاب وبنى قريظة - جاء الخبر إلى رسول الله (ﷺ) بأن بنى المصطلق - وهم حى من خزاعة - يجمعون الجموع لقتاله بقيادة زعيمهم " الحارث بن أبى ضرار " فخرج

إليهم يبادرهم حتى لقيهم عند ماء لهم يقال له " المريسيع " ^(١) ،
فقاتلهم . . . وهزمهم . . . ، ووقع العديد من نسائهم سبايا وفيهن
" برة " بنت زعيمهم " الحارث " وسيقوا جميعاً إلى " المدينة " .
وكانت " برة " قد وقعت في سهم " ثابت بن قيس بن شماس " ،
فكاتبته ^(٢) على حريتها وعتقها .

وأرادت " برة " أن تستعين برسول الله (ﷺ) على مكاتبته ، فجاءته
وهو في بيت " عائشة " واستأذنت ، فقامت إليها " عائشة " فرأت
بالباب فتاة شابة حلوة ، مفرطة الملاحظة ، لا يراها أحد إلا أخذت
بنفسه ، فكرهتها من النظرة الأولى ، وودت لو تحجز بينها وبين لقيهاها
رسول الله (ﷺ) ^(٣) .

لكن " برة " أصرت وألحت . . . ، فأذعنت " عائشة " .
ووقفت " برة " بين يدي رسول الله (ﷺ) تقول في ضراعة
واستعطاف : (يا رسول الله . . . أنا بنت " الحارث بن أبي ضرار " ،
سيد قومه ، وقد أصاب بنى قومي من البلاء ما لم يخف عليك ،
فوقعت في السهم لـ " ثابت بن قيس " ، فكاتبته على نفسي ، فجئتكم
استعينك على أمرى) .
فنظر إليها رسول الله (ﷺ) نظرة إشفاق وحنان وعطف . .
وتدبر . . . ، ثم قال :

(١) تسمى هذه الغزوة بـ غزوة " بنى المصطلق " أو " المريسيع "

(٢) المكاتب : الرقيق يكاتب على نفسه بثمنه ، فإذا سعى وأداه عتق .

(٣) كما جاء في الرواية عن عائشة

(فهل لك فى خير من ذلك؟)
فقال مستبشرة : وما هو يا رسول الله؟
قال : (أقضى عنك كتابتك وأتزوجك!)
فأدركت "برة" أبعاد الجواب ، فقلت من غير تردد : نعم يا
رسول الله .

فقال (ﷺ) : (قد فعلت).
إن مصاهرة "بنى المصطلق" بابنة زعيمهم وسيدهم سيكون لها
آثارها ونتائجها . . ! وتم الزواج ، وقضى عنها رسول الله (ﷺ)
كتابتها ، سماها "جويرية" . والتصغير فى العرف اللغوى عند
العرب يحمل معنى التودد والتحبب ، وجويرية تصغير "جارية" .
وجاء أبوها "الحارث" مسلماً إلى المدينة يريد فكاًك أسر ابنته التى
سبيت ، وكان قد أخفى فى أحد شعاب المدينة بكرين^(١)
استحسنهما ، ودخل بغيرهما .

ودخل على رسول الله (ﷺ) وقال : يا "محمد" أصبتم ابنتى وهذا
فداؤها ، فإن ابنتى لا يسبى مثلها ، فخلّ سبيلها .
فأجابه (ﷺ) : (أرأيت إن خيرٌ تُها . . . أليس قد أحسنت!!؟)
يعنى : إذا اختارتك فهى حرة !
فقال "الحارث" بلى :

(١) البكر : الفتى من الإبل .

فأتاها أبوها وذكر لها ذلك ، فقالت : (اخترت الله ورسوله) ، فسقط في يد " الحارث " . وقبل أن يغادر المدينة سأله رسول الله (ﷺ) عن البكرين اللذين أخفاهما . . !

عندئذ انطلق لسان " الحارث " يقول : أشهد أنك رسول الله حقاً . وأسلم " الحارث " ومعه " بنو المصطلق " . هذه كرامة .

وهناك كرامة أخرى ، تحدثنا عنها السيدة " عائشة " - رضى الله عنها - فتقول ما معناه :

وما أسرع ما خرج الخبر إلى الناس أن رسول الله (ﷺ) ، قد تزوج بنت " الحارث بن أبي ضرار " ، فتداعوا لتكريم السيدة التى أعزها نبينهم بالزواج ، وأقبلوا على من بأيديهم من أسرى قومها فأرسلوهم أحراراً وهم يقولون : أصهار رسول الله (ﷺ) .

فما من امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، فقد أعتق بزواجها من رسول الله (ﷺ) أهل مائة بيت من بيوت " بنى المصطلق " ^(١) وعاشت " جويرية " أم المؤمنين ، رضى الله عنها وهى لاتنسى تلك اللحظة الحاسمة فى حياتها : إذ نجت من عار السبى ، وأعتقت قومها من الأسر ، ودخلوا فى دين الله . . ، وكرمت بالزواج من سيد البشر - صلوات الله وسلامه عليه - .

(١) كانت " جويرية " رضى الله عنها - زوجة لـ " مسافع بن صفوان " - المصطلقى - قبل رسول الله (ﷺ) .

عاشت حتى خلافة " معاوية بن أبي سفيان " ، وكانت وفاتها سنة
ست وخمسين للهجرة ، وصلى عليها " مروان بن الحكم " أمير المدينة ،
ودفنت بـ " البقيع " .

رضى الله عن أم المؤمنين " جويرية بنت الحارث " ، ورفع مقامها
فى عليين ، وأجزل مثوبتها ، وألحقنا بها فى عباده الصالحين .

صفية بنت حيي (رضي الله عنها)

- ❖ بنت "حيي بن أخطب" أشد اليهود عداوة لرسول الله (ﷺ) وزعيم "بنى النضير".
- ❖ أسلمت وحسن إسلامها بشهادة المصطفى (ﷺ).
- ❖ اتهمت بحب "السبت" واليهود فقالت لسيدنا "عمر" : (أما "السبت" فإنني لم أحبه منذ أبدلني الله به "الجمعة" ، وأما اليهود فإن لي منهم رحماً فأنا أصلها)
- ❖ وضعت معبراً بين منزلها ومنزل "عثمان" ، فكانت تنقل إليه الطعام والماء ، وهو في محنة الحصار.
- ❖ تاسعة أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -.
- ❖ كانت تقول : زوجي "محمد" (ﷺ) وأبي "هارون" وعمي "موسى" - عليهما السلام -.
- مع مطلع السنة السابعة من الهجرة (شهر المحرم) كان فتح "خيبر" بعد معارك طاحنة وأيام عصيبة ، ووقعت "صفية بنت حيي بن أخطب" في السبي ، وكانت زوجة لـ "كنانة بن الربيع بن أبي

الحقيق " صاحب حصن " القموص " وصاحب كنزهم ، وقد ضُرِبَتْ عنقه لأنه كذب على رسول الله (ﷺ) وارتضى العقاب لنفسه .

كانت " صفية " إذ ذاك فى حدود السابعة عشرة من عمرها ، جميلة وحلوة ، ناصعة البشرة ، جاء بها " بلال " - رضى الله عنه - ومعها ابنة عم لها يقودهما إلى رسول الله (ﷺ) ، ومر على ساحة امتلأت بقتلى اليهود ، فأعولت ابنة عمها وصاحت وولولت ونفشت شعرها وحشت عليه التراب ، أما صفية فلزمت الصمت ، وكتمت أحزانها .

فلما رآهما رسول الله (ﷺ) قال لـ " بلال " : (أغربوا عنى هذه الشيطانة) - يعنى ابنة عم " صفية " ، ثم قال - وهو الرؤوف الرحيم - (أنزعت من قلبك الرحمة يا بلال " حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهم؟؟) . وعرف (ﷺ) أن بعضاً من الصحابة تنازعوا على " صفية " كل يريد لها لنفسه ، فأمر بها فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه ، فكان ذلك إعلماً بأنه (ﷺ) ، قد اصطفاها لنفسه .

ولم يكن ذلك استشاراً ، بل حسماً للنزاع ، وأيضاً فإن ابنة الزعيم الرئيس " حبي " ، وزوجة الزعيم الرئيس " كنانة بن أبى الحقيق " لا يجدر أن تهان بالرق والسبى . ولقد عرض عليها المصطفى (ﷺ) - أن يكون عتقها وإسلامها صداقها ، فوافقت .

روى " أنس بن مالك " - رضى الله عنه - قال : (لما أخذ رسول الله (ﷺ) " صفية بنت حبي " قال لها : (هل لك في؟؟) قالت : يا رسول الله قد كنت أتمنى ذلك فى الشرك ، فكيف أمكننى الله منه فى الإسلام!!) . ورأى رسول الله (ﷺ) تحت إحدى عينيها خضرة ، فسألها عن سببها ، فقالت : رأيت رؤيا كأن القمر وهو فى التمام قد

سقط فى حجرى ، فرويت ذلك لزوجى "كنانة" ، فلطمنى على
خدى وقال لى : ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز "محمداً" . وأراد
رسول الله (ﷺ) أن يبنى بها وقد عادوا من "خير" ، وكانوا على مقربة
منها ، فأبت ذلك عليه ، فوجد فى نفسه ، فلما كانوا فى "الصهباء"
- بعيداً عن "خير" - زفت إليه ، ودخل بها ، وسألها : (ما حملك
على الامتناع أولاً) فقالت - رضى الله عنها - : خشيت عليك قرب
اليهود .

وفى ليلة العرس قام "أبو أيوب الأنصارى" - خالد بن زيد - رضى
الله عنه - يحرس خيمة الرسول (ﷺ) ، فلما أصبح (ﷺ) ورأى "أبا
أيوب" يحوم حول الخيمة .
سأله : (مالك يا أبا أيوب ؟) .

فأجابه : يا رسول الله . خفت عليك من هذه المرأة . . . قد قتلت
آبائها وزوجها وقومها ، وكانت حديثه عهد بكفر ، فخفتها عليك !!!
فدعا رسول الله (ﷺ) لأبى أيوب قائلاً : (اللهم احفظ "أبا أيوب"
كما بات يحفظنى) .

وحق لـ "أبى أيوب" أن يخشى على رسول الله (ﷺ) ، لامن
"صفية" ولكن من غدر اليهود ، فما قصة "زينب" زوجة "سلام بن
مشكم" ببعيدة وشاتها المسمومه التى قدمتها لرسول الله (ﷺ) تريد
التخلص منه ، فلما ذاقها لفظها ولم يستسغها ، وأمر بـ "زينب" .
فأقرت ، فضرب عنقها ، لأنها تسببت بوفاة صحابى كريم "بشر بن
البراء" .

ودخلت "صفية" - رضى الله عنها - بيت النبوة ، وأقامت فى حجرة لها ، شأن أمهات المؤمنين - رضى الله عنهن- ولكن فى بيت الصحابى "حارثة بن النعمان" بعيداً عن أعينهن .

غير أن "عائشة" قصدها متنقبة ، تنظر إليها ، وتستطلع ما قيل عن جمالها وحسنها ، بدافع الغيرة ، ولمحها رسول الله (ﷺ) فتتبع خطواتها من بعيد ، فرآها تدخل بيت "حارثة بن النعمان" ، فلما خرجت أمسك بثوبها . . . وسألها : (كيف رأيت يا شقيراً؟) .

فأجفلت . . . ، ثم قالت : رأيت يهودية .
فرد عليها رسول الله (ﷺ) : (لا تقولى ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها) .

هذه التهمة بـ "اليهودية" لم تتوقف عند "عائشة" وحدها ، بل تعدتها إلى "حفصة" و"زينب بنت جحش" ، وغيرهن .
حتى إن "صفية" كانت تُبلغُ ذلك ، فتبكى .

أتاها يوماً رسول الله (ﷺ) ودمعها يتحدر من مقلتيها غزيراً ، فسألها عن سبب ذلك ، فأخبرته بما تسمع ، فقال لها (ﷺ) : (ألا قلت لهما^(١)) : وكيف تكونان خيراً منى وزوجى "محمد" وأبى "هارون"^(٢) وعمى "موسى"؟!)

فنزل قوله (ﷺ) على قلب "صفية" برداً وسلاماً .

(١) "عائشة" و "حفصة"

(٢) ينتهى نسبها - كما روى - إلى "هارون" عليه السلام

وروى أن رسول الله (ﷺ) كان في سفر له ، ومعه من نسائه " زينب بنت جحش " و " صفية " فاعتل بعير " صفية " فقال لـ " زينب " - وكان معها فضل - : (إن بعير صفية قد اعتل فلو أعطيتها بعيراً) . فأجابت : أنا أعطى تلك اليهودية . . !!

فولى عنها رسول الله (ﷺ) مغضباً ، ويقال بأنه تركها شهرين أو ثلاثة . . ، أو هجرها . وظلت تلك العقدة تخالج نفوسهن حتى في مرضه ووفاته (ﷺ) وقد مر على زواجة من " صفية " قرابة سنوات ثلاث ، فقد روى أن أمهات المؤمنين اجتمعن حول فراشه . . . ، فقالت : " صفية " إني والله - يا نبي الله - لوددت أن الذى بك بى .

فما كان من أزواجه إلا أن غمزن ببصرهن ، وما راعهن إلا قول رسول الله (ﷺ) لهن : (مَضْمُضُنْ) ، فقلن فى دهشة : من أى شئ يا رسول الله ؟ فقال (ﷺ) : (من تغامزكنَّ بها ، والله إنها لصادقة!!!) . واستمرت تلك النزعة حتى أيام خلافة " عمر " - رضى الله عنه - إذ جاءته جارية لـ " صفية " تقول : يا أمير المؤمنين إن صفية تحب السبت وتصل اليهود .

فأرسل إليها يستوضحها ، فأجابت : أما السبت فإنى لم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة ، وأما اليهود فإن لى بهم رحماً فأنا أصلها .

ومن حقها - بل تجب عليها - صلة الرحم ، ولو كانوا مشركين ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

(لقمان : ١٥)

وأمسكت صفية بجاريتها ، وقد عرفت بسعيها عليها ، فسألتها عما حملها على ذلك ؟ فقالت : الشيطان . فقالت لها " صفية " : إذهبي فأنت حرة .

وكان لـ " صفية " - رضى الله عنها - موقف أيام الفتنة على " عثمان " - رضى الله عنه - موقف يذكر فيشكر ، فلقد آلمها ما تراه من الحصار والعزل ، وقطع الطعام والماء ، فأقامت معبراً بين منزلها ومنزل " عثمان " ، فكانت تنقل إليه الطعام والماء^(١) .

وعاشت - رضى الله عنها - إلى خلافة " معاوية بن أبى سفيان " ثم كانت وفاتها سنة خمسين من الهجرة ، وصلى عليها " مروان بن الحكم " ودفنت بـ " البقيع " مع أمهات المؤمنين .

رضى الله عن أم المؤمنين " صفية بنت حيي " وأرضاهما ، ووفاهما أجرهما ، ورفع مقامهما مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

(١) روى ذلك " ابن سعد " فى الطبقات .

رملة بنت أبى سفيان (رضى الله عنها)

- ❖ " أم حبيبة " وأم المؤمنين . . . !
- ❖ نأت عن الديار مع الأبرار . . . !
- ❖ ونأت عن النسب إلا التقوى . . . !
- ❖ وصبرت واحتملت . . . فكوفئت . . . !
- ❖ دفع " النجاشى " ملك الحبشة مهرها عن رسول الله (ﷺ).
- ❖ كان اللقاء بينها وبين رسول الله (ﷺ) بعد فتح " خيبر " . . . ، فكانت الفرحة فرحتان .
- ولدت " رملة " رضى الله عنها قبل البعثة بسبعة عشر عاما وأسلمت مبكرة مع زوجها " عبید الله بن جحش " وهاجرت معه إلى الحبشة وكانت حاملاً . . . وهناك ولدت ابنتها " حبيبة "
- فى ذات ليلة رأت رؤيا . . . رأت زوجها " عبید الله " فى أسوأ صورة . . . !

وبعد أيام قلائل تنصّر زوجها وأكب على الخمر يعبُّ منها ولم
تنجح " رملة " فى إثنائه عما هو فيه ففارقتة . . . ! ولم يلبث أن مات
وترملت " أم حبيبة " !!

وكان التواصل بين رسول الله (ﷺ) والمهاجرين إلى الحبشة لا ينقطع
يزودهم بأخبار المسلمين وما يجدّ من وحى وأحكام وكذلك كانوا
يفعلون يبعثون مع الرسل أنباءهم تباعا إلى رسول الله (ﷺ) .

وما من شك فى أن بعد " أم حبيبة " عن الوطن والأهل والمسلمين
وكذلك موت زوجها وترملها كل ذلك كان له أثره على نفسيتها حزنا
وهما وغمها ولكنها - رضى الله عنها - كانت تلوذ بإيمانها وإسلامها
وتلجأ إلى الله فتجد الأمن والأمان والراحة !!

هل تُترك " أم حبيبة " فى محتتها . . . ؟!

لا الذى بعث " محمداً " (ﷺ) بالحق

لقد سمعت طرقا على بابها فقامت وفتحت ، فإذا جارية اسمها
" أبرهة " من عند النجاشى تقول لها : (إن الملك يقول لك : وكلى
عنك من يزوجك من نبيّ العرب ، فقد أرسل إليه ليخطبك له) .

كادت الفرحة تطير بها . . فنزعت من يدها سورابن من فضة
ألبيستهما للجارية حلاوة البشرى ، وأرسلت إلى كبير المهاجرين من
قومها " بنى أمية " " خالد بن سعيد بن العاص " توكله فى زواجها .

ودعا النجاشى المهاجرين إلى قصره فلما اكتملوا قال : (إن " محمد ابن عبد الله " (ﷺ) كتب لى أن أزوجه " أم حبيبة بنت أبى سفيان " ، فمن أولاكم بها؟)^(١) .

قالوا : " خالد بن سعيد بن العاص " قد وكَّلتهُ .
فقال له النجاشى : فزوّجها من نبيكم ، وقد أصدقتُها عنه أربعمئة دينار .

فقال " خالد " : قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله (ﷺ) وزوجته " أم حبيبة " .

وأولم لهم " النجاشى " وليمة الزواج قائلاً : اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج

وفى صباح اليوم التالى جاءت جارية النجاشى إلى " أم حبيبة " تحمل إليها هدايا نساء الملك من عود وعنبر وطيب ، فقدمت اليها " أم حبيبة " خمسين ديناراً من صداقها وقالت : كنت أعطيتك بالأمس السوارين ولم يكن بيدى شئ من المال . وقد جاءنى الآن من الله تعالى .

فأبت الجارية أخذها ، كما ردت السوارين ، وقالت : إن الملك أمرنى أن لا آخذ شيئاً ، وقد أجزل لى العطاء وهذه هدايا نسائه إليك . فتقبلتها بقبول حسن ، وحمدت الله تعالى .

1 (□) كان رسول الله (ﷺ) إلى النجاشى فى شأن الزواج " عمرو بن أمية الضميرى " ، وفى قول " شر حبيب بن حسنة " والأول أرجح .

ومرت أعوام ، حتى كان فتح "خير" وعاد المهاجرون من الحبشة إلى المدينة وعادت معهم "أم حبيبة" -رضى الله عنها- .
ومما يؤثر عن النبي (ﷺ) مقولته الشهيرة عندما استقبل أصحابه المهاجرين الذين طالت غيبتهم : (لا أدري بأيهما أسرُ فتح خير أم بقدوم جعفر وإخوانه) . ومن التوافق العجيب أن يكون زواجه (ﷺ) من "صفية بنت حيى" زعيم "بنى النضير" مترافقاً مع بنائه بـ "أم حبيبة بنت أبى سفيان" زعيم قريش .
ولقد اشتهر على لسان "أبى سفيان" انه قال - عندما علم بعقد رسول الله (ﷺ) على ابنته "أم حبيبة" : (ذلك الفحل لا يجده أنفه) .
وأقامت رضى الله عنها إلى جانب أزواجه (ﷺ) تعرف قدرها ومكانتها وحدودها ، ولا تنخرط معهن فى غيرتهن .
وطويت صفحات الهجرة والمعاناة ، بكل أحزانها وآلامها ، ومحنها التى صقلت شخصية "أم حبيبة" رضى الله عنها ، وفتحت صفحات جديدة تشرق منها أنوار الإيمان المصفى .
وكان أعظمها وأسمها موقفها من أبيها "أبى سفيان" ، يوم قدم المدينة سفيراً لقريش التى نقضت عهد الحديبية ، إذ جاء المدينة مستنكراً ما حدث ليؤكد العهد ، ويجدد المدة .
وقصد أولاً إلى بيت ابنته "أم حبيبة" .
وفوجئت - رضى الله عنها - به يدخل بيتها ، ولم تكن قد رآته منذ هجرتها إلى "الحبشة" ^(١) ، فوقفت تجاهه متحيرة . . . لا تدري ماذا تفعل !؟

(١) قرابة : ثمانية عشر عاماً .

فسلم ودخل ، وأراد أن يجلس على فراش رسول الله (ﷺ) ،
فبادرت وطوته . . ، فقال في استنكار وتعجب : يا بنية أرغبت بي عن
الفراش أم رغبت به عني ! ؟ .

وعند جواب " أم حبيبة " - رضى الله عنها - تنحنى الرؤوس إجلالاً
وتخشع النفوس احتراماً ، وتصمت الألسنة وينطق الدهر وحده ،
ليقول كلمته الفصل ، بين الإيمان والكفر .

قالت رضى الله عنها : (هو فراش رسول الله (ﷺ) وأنت رجل
مشرک ، فلم أحب أن تجلس عليه) .

فقال " أبو سفيان " مغضباً وهو يغادر البيت : لقد أصابك يابنية
بعدي شر

فقالت : بل الخير كل الخير .

وظل أبوها " أبو سفيان " على ولائه للشرك حتى كان فتح مكة
فأسلم وحسن اسلامه ، فأزيح عن كاهل " أم حبيبة " عبء باهظ .
وظلت هي على وفائها وصدق إيمانها لبيت النبوة ، حتى فى أشد
الأوقات حرجاً ، فما عرف عنها موقف ولا كلمة تعبر عن ميل إلى
جهة دون أخرى ، وقد اشتد النزاع والصراع فى أواخر خلافة
" عثمان " - رضى الله عنه - .

وحين أقعدها المرض ، وحانت ساعة الفراق ، واللحاق بالرفيق
الأعلى ، واجتمعت حولها الضرائر ، قالت لـ " عائشة " : (قد يكون
بيننا ما يكون من الضرائر ، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك)
فحللتها " عائشة " واستغفرت لها ، فقالت أم حبيبة : (سررتني سرّك
الله) .

وكذلك كان بينها وبين " أم سلمة " - رضى الله عنهن - .
وكانت وفاتها رضى الله عنها سنة أربعة وأربعين للهجرة ^(١) ،
وكان أخوها " معاوية " فى سدة الخلافة ، ورغم انها أخت الخليفة ،
لم تنس أبدا أنها زوجة النبى (ﷺ) وأم المؤمنين .
ورقدت بسلام وأمان واطمئنان فى " البقيع " .
رضى الله عن أم المؤمنين " أم حبيبة - رملة بنت أبى سفيان " وبوآها
منزلتها فى الجنة ، وأكرم مثواها .

(١) وفى قول سنة اثنتين وأربعين

ميمونة بنت الحارث "الهلالية" (رضى الله عنها)

- ❖ آخر أمهات المؤمنين
- ❖ شقيقه "أم الفضل" ^(١) زوجة "العباس بن عبد المطلب"
- ❖ كان إسمها "برة" فسمها رسول الله (ﷺ) "ميمونة"
- ❖ قال رسول الله (ﷺ) عنها وعن أخواتها : (الأخوات المؤمنات)

- ❖ قالت عنها "عائشة" - رضى الله عنها - : (أما إنها كانت - والله - من أتقانا وأوصلنا للرحم)

فى أواخر العام السابع للهجرة وبعد فتح "خيبر" تجهز رسول الله (ﷺ) والمسلمون لـ عمرة القضاء ، حسب ما نص عليه صلح الحديبية ، فلما قدموا مكة ، أخلتها قريش ، ودخلها المسلمون

(١) إسمها "لبابة الكبرى" ، أما أختها "لبابة الصغرى" فهى أم خالد بن الوليد - رضى الله عنه - فـ "عبد الله بن عباس" "وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب" و"خالد" أولاد خالات.

يتقدمهم رسول الله (ﷺ) على ناقته " القصواء " ، و " عبد الله بن رواحة " ، مُمسك بزمامها ينشد حادياً :

خلوا بنى الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير فى رسوله
يارب إنى مؤمن بقبيله أعرف حق الله فى قبوله
وتجاوبت أرجاء مكة بالتلبية : (لبيك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ليك) .
وارتفع صوت النبى (ﷺ) يقول : (لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده) .

وكان المشركون قد أرجفوا بأن المسلمين فى ضعف ، قد أرهقتهم حُمى يثرب " المدينة " وانتظروا . . ونظروا أن يروا ذلك ، فأمر النبى (ﷺ) أصحابه أن يرملوا^(١) فى طوافهم حول الكعبة الشريفة ، الاشواط الثلاثة الأولى ، فيردوا فرية المشركين إلى نحورهم .

وقد فعلوا . . . !

وخفق قلب " برة بنت الحارث الهلالية " وهى ترى رسول الله (ﷺ) وكانت قد ترملت من زوجها " أبى رهم بن عبد العزى " ^(٢) وهى الآن فى كنف أختها " أم الفضل " زوجة " العباس بن عبد المطلب " عم النبى (ﷺ) وهى على الإسلام والایمان !

فأفضت بمكنون فؤادها إلى أختها " أم الفضل " ، وأنها تود أن تكون زوجة لرسول الله (ﷺ) ونقلت " أم الفضل " إلى زوجها ما ترغب به " برة " ، وأنها قد وكلته بأمرها .

(١) الرَّمْلُ : الهرولة .

(٢) اختلف الرواة فى اسم الزوج .

ولم يتردد " العباس " - رضى الله عنه - فى حمل أمانة المسئولية وإبلاغ الرسالة ، مضى إلى رسول الله (ﷺ) وخاطبه فى أمر " برة " ، وعرض عليه الزواج منها ، فاستجاب (ﷺ) ، وأصدقها أربعمئة درهم ، وبعث ابن عمه " جعفر بن أبى طالب " وكان زوجاً لأختها من أمها " أسماء بنت عميس " يخطبها ، وأنكحها إياها - ولياً عنها - عمه " العباس " .

فلما نقل خبر الموافقة إليها وكانت على بعير رمت نفسها من على البعير وقالت : (البعير وما عليه لرسول الله (ﷺ)) ^(١)

كانت مدة إقامة المسلمين بمكة ثلاثة أيام حسبما اتفق عليه فى صلح الحديبية ، فلما قاربت نهايتها جاء (ﷺ) رسلٌ قریش يطلبون اليه مغادرة مكة فقال لهم متلطفا :

(ما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟؟)

فردوا فى جفاء وغلظة : لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا .

وابتسم النبى (ﷺ)

وأمر أصحابه أن تجهيزوا للرحيل ، وترك مولى له اسمه " أبى رافع " كى يأتيه بـ " برة " .

وفى مكان يدعى " سرف " - قرب " التنعيم " - على مسافة قريبة من مكة لحق " أبو رافع " برسول الله (ﷺ) ومعه " برة " .

(١) ذكر ذلك السهيلي فى الروض الأنف

وهناك - وكان قد خرج من محيط الحرم - بنى رسول الله (ﷺ) بـ
"برة" ، وسماها "ميمونة" تيمنا بالمناسبة العظيمة التي دخل بها
"مكة" - أم القرى - بعد غياب استمر سبعة أعوام .
ثم انتقلت معه إلى المدينة ، وأفردت لها حجرة شأن غيرها من
أمهات المؤمنين ، فأقامت راضية مرضية ، فلم يعهد عنها إلا أنها
صوامة قوامه فعالة للخير .
وعاشت - رضى الله عنها - بعد وفاة رسول الله (ﷺ) حتى سنة
إحدى وخمسين من الهجرة .
وصادف أنها كانت تحج ذلك العام ، وداهمها المرض ، فأوصت أن
تدفن بعد وفاتها فى المكان الذى بنى فيه رسول الله (ﷺ) بها فى
"سرف" .
وكان معها ابن اختها "عبد الله بن عباس" - رضى الله عنهما - ،
فحمل جثمانها وترفق بها حتى وارها حيث أوصت .
رضى الله عن آخر أمهات المؤمنين "ميمونة بنت الحارث الهلالية" ،
وأسكنها الفردوس الأعلى ، وحشرنا معها تحت لواء المصطفى (ﷺ) .

”مارية القبطية” - رضى الله عنها.

❖ هدية من مصر !

❖ ”هاجرُ” لـ ”إبراهيم” - عليه السلام - ومارية لـ

”محمد” (ﷺ)

❖ (استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً)^(١)

كان ”حاطب بن أبى بلتعة” - رضى الله عنه - رسولَ رسول الله (ﷺ) إلى ”المقوقس” - عظيم القبط فى مصر سنة سبع من الهجرة يحمل إليه رسالته وفيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم من ”محمد بن عبد الله” إلى ”المقوقس” عظيم القبط ؛ سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (آل عمران : ٦٤)

وهذه الرسالة الكريمة واحدة من الرسائل التي بعث بها رسول الله (ﷺ) إلى الملوك والحكام والرؤساء يدعوهم إلى الاسلام ، وكان ذلك بعد " صلح الحديبية " ، وقد اعترفت قريش له (ﷺ) بالسيادة السياسية والسلطة الزمنية ، ولم تؤمن به كرسول ونبي .
ولقد اختلفت ردود هؤلاء الملوك والحكام والرؤساء بين سامع غير مجيب ، أو سامع منكر ، أو قاتل للرسول وممزق للرسالة - كما فعل كسرى - .

أما " المقوقس " فقد قال له " حاطب " بعد أن قرأ الرسالة :
(قد كنت أعلم أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام وهناك يخرج الأنبياء ، فأراه قد خرج من أرض العرب ، ولكن القبط لا تطاوعنى) .

ثم دعا كاتبه فأملى عليه الرد :
(. . . أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ؛ . وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة ومطية لتركباها ، والسلام عليك) .
وكان مضمون الهدية - بالإضافة إلى الجاريتين - عبداً خصياً اسمه " مابور " وألف مثقال ذهباً ، وعشرين ثوباً لنا من نسيج مصر^(١) ،

(١) تعرف به " القباطى "

وبغلة شهباء إسمها (دلدل) وحماراً إسمه "يعفور" وعسل من "بنها" وبعض العود والند والمسك .

وكانت الجاريتان أختين : "مارية" و "سيرين" ولدنا في قرية من قرى صعيد مصر تدعى "حفن" قريبة من بلدة "أنصنا" على الضفة الشرقية لنهر النيل تجاه الأشمونين ، كان أبوهما قبطيا وأمهما مسيحية رومية .

إنقلتا مع مطلع شبابهما إلى قصر "المقوقس" حيث كانت نشأتهما وتربيتهما ونضوجهما .

ويروى بأن "حاطباً" رغبهما في الإسلام قبل بلوغهما أرض "الحجاز" ودخولهما المدينة ، وحدثهما عن رسول الله (ﷺ) حديثاً شيقاً ممتعاً ، فألقى الله تعالى في قلوبهما نور الإيمان فأسلمتا .

وتلقاهما رسول الله (ﷺ) ، فأكرمهما وأعزهما ، واختار "مارية" سُرِّيَّةً له ، وأهدى أختها "سيرين" إلى صاحبه وشاعره "حسان بن ثابت" - رضی الله عنه - .

وأنزل "مارية" في بيت "حارثة بن النعمان" ، قريباً من المسجد ، وكان يأتيها ويستكثر منها محباً لها ، معجباً بها ، لذا ضرب عليها الحجاب شأن أمهات المؤمنين - رضی الله عنهن - .

بعد مضي عام . . . حملت "مارية" من رسول الله (ﷺ) . . . ثم وضعت غلاماً سماه رسول الله (ﷺ) "إبراهيم" تيمناً بأسم أبي الأنبياء "إبراهيم" عليه السلام .

وملأت الفرحة قلب رسول الله (ﷺ) وعمت دور المسلمين .

واختار لها رسول الله (ﷺ) مقاماً جديداً في ضاحية "العوالي" (١) ،
 وقال عند الولادة : (لقد حرّرها ولدها) .
 فأصبحت أم ولد ، بعد أن كانت سرية .
 وتنافس الأنصار في إرضاع "إبراهيم" . . . ، كما خصص رسول
 الله (ﷺ) سبعاً من الماعز كي ترضعه بلبنها إذا شح ثديها .
 وممرت شهور والطفل الكريم ينمو ويكبر ، ورسول الله (ﷺ)
 يزداد تعلقاً به وحنواً عليه
 ترى هل عانت مارية - رضى الله عنها - من غيرة - أمهات
 المؤمنين . . . ؟

تقول السيدة "عائشة" - رضى الله عنها - فيما روته عنها "عمرة
 بنت عبد الرحمن الأنصارية" : (ما غرتُ على امرأة إلا دون ما غرتُ
 على "مارية" ، وذلك أنها كانت جميلة جعدة ، فأعجب بها رسول الله
 (ﷺ) وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لـ "حارثة بن النعمان
 الأنصارى" فكانت جارتنا ، فكان عامّة الليل والنهار عندها ،
 فجزعت فحولها إلى "العالية" ، وكان يختلف ، إليها هناك فكان ذلك
 اشد علينا ، ثم رزقها الله الولد وحرمناه منه)
 ويروى أنه (ﷺ) حمل "إبراهيم" يوماً بين ذراعيه إلى "عائشة" ،
 ودعاها في تلفظ وبشر لترى في الوليد الصغير من شبه بأبيه الكريم)
 (ﷺ) فأحست "عائشة" بالمرارة وكادت تبكى ثم قالت : ما أرى بينك
 وبينه شبهاً .

(١) وكانت تعرف قديماً بـ (العالية) .

فانصرف عنها رسول الله (ﷺ) وقد أدرك ما يعتمل في نفسها
بعد مرور عام ونصف - ثمانية عشر شهرا ، أو سبعة عشر - وقد
أخذ الطفل يكبر ويدرك ويناغى ، ولأمر قدره الله تعالى وقضاه بحكمته
ومشيئته ذوى العود وأفل النجم وغرب الهلال !!

وقع "إبراهيم" فريسة الحمى ، ولم تنفع فيه المعالجة ، وجاء الوالد
الرسول (ﷺ) لعيادته وهو فى غاية الألم والحزن فأخذه من حجر أمه
واحتضنه فى حجره الكريم وذرفت عيناه الشريفتان وقال : (إنا يا
"إبراهيم" لا نغنى عنك من الله شيئا) .

ثم فاضت الروح الطاهرة إلى ربها عز وجل ، فأحنى رسول الله (ﷺ)
على الجثمان وقبله وقال : (يا "إبراهيم" لولا أنه أمر حق ووعد صدق
، وإن آخرنا سيلحق بأولنا لحزننا عليك حزناً هو أشد من هذا ، وإنا
بك يا "إبراهيم" لمحزونون ، تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما
يسخط الرب) .

والتفت (ﷺ) إلى "مارية" وقال لها مواسياً : (إن "إبراهيم" ابنى
وإنه مات فى الثدى وإن له لظئرين تكملان رضاعه فى الجنة)^(١)
وغسل . . وحمل على سرير صغير . . وصلى عليه رسول الله (ﷺ)
. . ودفن فى البقيع .

وصادف حينئذ إنكساف الشمس ، فقال بعض الناس : (إنها
انكسفت لموت "إبراهيم") فالتفت إليهم رسول الله (ﷺ) وقال : (إن

(١) صحيح مسلم .

الشمس والقمر آيتان من آيات الله . . لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته^(١)

فعلى الرغم مما كان فيه (ﷺ) من حزن وأسى - شأن أى قلب آدمى - لم يغفل ولم ينس أمانة الرسالة والنبوة!!
ولا بد من ذكر حادثة إفك اتهمت بها "مارية" - رضى الله عنها -
غيرة وحسداً وحقداً لكن الله تعالى الذى تولاهما برأها . . . ، ولم تأخذ
حيزاً زمنياً طويلاً!!

فقد روج بعض المنافقين أن خادمها "مابور" الذى قدم معها من
مصر كان يأتيها وقالوا: (علج^(٢) يدخل على علجة . .)
فأمر رسول الله (ﷺ) "علياً" - كرم الله وجهه - أن يتأكد ثم يضرب
عنق "مابور" فأتاه "على" فوجده فى ركي^(٣) يتبرد فيها فقال له:
أخرج!! فناوله يده فأخرجه عارياً فإذا هو محبوب^(٤) فكف عنه
"على" وعاد إلى رسول الله (ﷺ) فقال: (يا رسول الله إنه محبوب)^(٥)
وعاشت "مارية" - رضى الله عنها - حتى أدركتها الوفاة سنة ست
عشرة فى خلافة أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه -
وكانت بعد وفاة رسول الله (ﷺ) تعيش وكأنها فى عزلة تطوى أحزانها

(١) صحيح مسلم .

(٢) العلج : الكافر من الأعاجم الذين ليسوا عرباً

(٣) الركي : البثر قبل ان تطوى (نسوى جدرانها بالحجارة)

(٤) محبوب : مقطوع آلة الذكورة .

(٥) صحيح مسلم .

فى قلبها ولا تغادر سكنها إلا لزيارة قبر المصطفى (ﷺ) أو زيارة قبر
ولدها " إبراهيم " فى البقيع أو زيارة أختها " سيرين "
ويروى بأن " عمر " - رضى الله عنه - حشد الناس لجنائزها يوم
وفاتها وصلى عليها ودفنت فى البقيع .
رضى الله عن " مارية القبطية " وأرضاهما ورفع فى الجنة منزلتها
ومثواها
ولا يفوتنا أن نذكر أنفسنا والمسلمين عامة بوصية رسول الله (ﷺ) :
(إنكم ستفتحون مصر فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمّة - ورحمًا) .

ريحانة بنت شمعون (رضى الله عنها)

- ❖ بين اليهودية والإسلام!
- ❖ اختلف في نسبها هل هي قُرْطِيَّة أم نضيرية؟
- ❖ واختلف ايضا في عتقها !!
- ❖ ولم يختلف في "اسلامها" إذ أجمعوا على وفاتها قبل وفاة رسول الله (ﷺ) وأنها دفنت في "البقيع"
- قيل هي : "ريحانة بنت شمعون بن زيد" وقيل : "ريحانه بنت زيد ابن عمرو بن قنافة أو خنافة"^(١) وقال ابن اسحاق " : هي من "بنى عمرو بن قريظة" وقال "ابن سعد" : هي "ريحانة بنت زيد بن عمرو ابن خنافة بن شمعون بن زيد" من "بنى النضير" وكانت متزوجة رجلاً من بنى "قريظه" يقال له "الحكم" ثم روى ذلك عن الواقدي^(٢) وجاء في اعلام النساء لـ "عمر رضا كحالة" (ج : ١) (ص : ٤٧٤).

(١) الإصابة (ج : ٤) (ص : ٣٠٢)

(٢) الإصابة (ج : ٤) (ص : ٣٠٢) .

"من ربات الجمال والأدب سبيت مع "بنى قريظة" سنة ست من الهجرة وقد تعصت بالاسلام وأبت الا اليهودية فأمر بها رسول الله (ﷺ) فعزلت ، ثم دخل رسول الله (ﷺ) عليها فقال لها : (إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه) فقالت : " إني اختار الله ورسوله " فلما أسلمت أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية^(١) وأعرس بها فى بيت " المنذر بن قيس " كان يقسم لها كما يقسم لنسائه ، وضرب عليها الحجاب .
وكان رسول الله (ﷺ) معجباً بها ، وكانت لاتسأله إلا أعطائها ذلك .

ولما ضرب عليها الحجاب غارت عليه غيرة شديدة ، فطلقها تطليقة وهى فى موضعها لم تبرح ، فشق عليها وأكثر البكاء فدخل عليها رسول الله (ﷺ) وهى على تلك الحال فراجعها - طبقات - " ابن سعد " .
وفى رواية أن رسول الله (ﷺ) عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله بل تتركنى فى ملكك فهو أخف عليّ وعليك^(٢) .

وتوفيت سنة مرجع رسول الله (ﷺ) من حجة الوداع ، ودفنت فى البقيع بـ " المدينة " أ - هـ

ويتبين لنا أن بين وقوعها فى السبى ووفاتها مدة طويلة قاربت السنوات الأربع ، مما يجعلنا نميل إلى ما رواه " ابن اسحاق " عن إسلامها وبقائها فى ملك اليمين .

(١) أربعمائة درهم كما كان يصدق نسائه (ﷺ)

(٢) تاريخ الطبرى والسيرة لـ (ابن هشام) والأكثر على ذلك

(كان رسول الله ﷺ سبها فأبت إلا اليهودية ، فوجد رسول الله
ﷺ) في نفسه ، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال :
(هذا ثعلبة بن سَعْيَة يبشرني بإسلام " ريجانه ") فبشره ، وعرض عليها
أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت : يا رسول الله بل
تركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك ، فتركها) .
رضى الله عنها وغفر لنا ولها وألحقها بالصالحين من عباده وأكرم
نزلها ومثواها

الخاتمة

وأخيراً ..!!

فلقد طوّفنا مع (زوجات) الأنبياء - عليهم السلام - دهوراً وقرونًا ،
ووقفنا على جانب كبير وهام من حياتهن ، وما كان لكل منهن من
دور فى حياة أزواجهن ، إيجاباً أو سلباً ، وكان أكثرهن على مستوى
ما حمّله النبي من أمانه الرسالة ، ومسؤولياتها .

ولقد كان من موجبات العمل ومقتضيات البحث أن يكون مسك
الختام الحديث عن زوجات سيدنا رسول الله (ﷺ) ، " أمهات
المؤمنين " وغيرهن - رضى الله عنهن - .

مع الإشارة الواضحة إلى الظروف التى رافقت زواج كل منهن . .
كى تستفى من ذهن القارئ شبهتان أرجف بهما دعاة السوء من غربيين
ومستغربين ، للنيل من مقام سيدنا رسول الله (ﷺ) وهما :

١ - شبهة التعدد ٢ - شبهة الاستكثار .

ولقد بينا ذلك فى مضمون الحديث والبحث ، دونما إسهاب ممل أو
تطويل مخل .

ثم إن فى كتابات العلماء والباحثين - خصوصاً فى هذا الموضوع -
ما يغنى ويفيد .

وأسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا وينفع بنا ، ويوفقنا لما نحبه
ويرضاه ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير إنه نعم المولى ونعم
النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى القدير .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- كتب الصحاح
- ٣- كتب السنن
- ٤- السيرة لـ (ابن هشام)
- ٥- السيرة لـ "ابن كثير" (٢) قصص الأنبياء "ابن كثير"
- ٦- قصص الأنبياء (عبد الوهاب النجار)
- ٧- السمط الثمين (المحب الطبري)
- ٨- تاريخ الطبري
- ٩- تاريخ ابن الأثير
- ١٠- سيدات بيت النبوة (عائشة عبد الرحمن)
- ١١- الرسول (بُودلى) الترجمة العربية (فرج والسحار)
- ١٢- "توراة" أهل الكتاب .